جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

مذكرة ماستر

الميدان: العلوم الإنسانية

الفرع: التاريخ

تخصص: تاريخ الوطن العربي المعاصر

رقم: أدخل رقم تسلسل المذكرة

إعداد الطالب:

فوزية بن بوزيان

يوم: 6/7/ 2019

محمد الطاهر بن عاشور ودوره الإصلاحي في تونس (التعليم)1879.1973م

لجنة المناقشة:

الأمير بوغدادة	أ. مس أ	جامعة محمد خيضر بسكرة	رئيس
نصر الدين مصمودي	أ. مح أ	جامعة محمد خيضر بسكرة	مقرر
مسعود بن مبروك	أ. مس أ	جامعة محمد خيضر بسكرة	مناقش

السنة الجامعية : 2018 – 2019

بسم الله الرحمن الرحيم

فهو شيخ شب في مشروعه كان خيرا ابن ولأبناء أبا

شيخنا "الطاهر"في مقصده يا ابن عاشور وقيتم حربا

جامع الزيتونة استبشر واه تز منها كل فرع طربا

اذا ولتيم أمرها في حكمة جامعا ما فرقت أيدي سبا

" **محمد التهامي عمار**

ـ الشكر والعرفان .

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه ونشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد عبده ورسوله عليه أفضل الصلاة والسلام والحمد لله فإنني ما كنت بالغة ما بلغت إلا بفضله سبحانه وكرمه. أما بعد:

أتقدم بأسمى آيات الشكر والعرفان إلى كل من ساعدني من قريب أو من بعيد في إنجاز هذا العمل ونخص بالذكر الأستاذ المشرف " **نصر الدين مصمودي** " الذي لم يبخل علينا بنصائحه القيمة في بداية إنجاز هذه المذكرة لولا المرض الذي أحال بينه وبين عمله نسأل الله له الصحة والعافية.

كما أقدم خالص شكري وتقديري للدكتور " **لخميسي فريح** " بما قدمه لنا من توجيهات ونصائح كانت عونا لي في إتمام هذا البحث رغم كثرة الضغوطات التي كانت عليه فلم يبخل علينا بإرشاداته فبارك الله فيه ونسأل الله له المزيد من التفوق في مشواره العلمي.

ولا يفوتني أن أقدم فائق الشكر والتقدير للدكتورة " **لمياء عبيدي**" من البلد الشقيق " تونس" التي كانت سندا وعونا لي وتحملت معي عناء البحث قراءة وتصحيحا وقدمت لي توجيهات ثمينة.

واعترافا مني بالجميل أتقدم بجزيل الشكر الى اولئك المخلصين الذين لم يألوا جهدا في مساعدتنا في مجال البحث العلمي وأخص بالذكر الشيخ "**الحاج دوادي**" على جميل صنعه **و**إلى أساتذة قسم التاريخ الذين تكونت تحت إشرافهم وإلى زملاء الدراسة ولمن قدم لي يد العون.

" شكرت جميل صنعكم بدمعي .... ودمع العين مقياس الشعور"

الإهداء

أهدي هذا العمل إلى الذي أوصاني الله به برا وإحسانا، وأهدى لي سنين عمري والذي أحنى ظهره التعب في سبيل وصولي لهذه المرحلة يا من ناضلت لإسعادنا وكابدت مشاق الحياة كي تخدمنا وذقت ألوان الشقاء كي تربينا وها أنت تجني الثمار تخرجنا

إلى والدي الحبيب...

إلى بحر الحب والنبض الساكن في عروقي ...التي لا تنام يوما إلا ورفعت يدها للسماء تدعوا الله أن يحقق حلمي.. إلى النور الذي يضئ حياتي والنبع الذي أرتوي منه حبا وحنانا إلى من تتسابق الكلمات لتخرج معبرة عن مكنون ذاتها ..إلى التي علمتني وعانت الصعاب لأجل وصولي إلى ما أنا عليه الآن

إلى أمي الحنونة...

إلى إخواني الذين وقفوا بجانبي وساندوني طيلة مشاوري الدراسي" عاشور- أحمد ـ نور الدين ـ سليم ـ عماد ـ وحيد " إلى أخواتي اللآتي شاركنني فرحة الحياة وحزنها " سعاد وجليلة".

إلى من ملأ البيت بهجة وسرور أبناء أخي : ضياء .يحي .زكرياء" حفظهم الله ورعاهم.

إلى صديقاتي "زينب. يمينة .سكينة .عواطف .صبرينة .أميرة ـ فريال ـ جهينة" اللواتي عشت معهن أجمل اللحضات التي ستبقى ذكريات ...أهدي لكم هذا العمل المتواضع.

وإلى كل من لم يذكرهم قلمي ولن ينساهم قلبي...

مـــقدمـــة

مقدمة:

شهد العالم العربي والإسلامي منذ أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ميلادي حركات إصلاحية شملت جميع الميادين السياسية والإجتماعية والثقافية حيث برز العديد من المصلحين في كل قطر من الأقطار العربية والذين إتخذوا من التجديد والإصلاح كوسيلة وهدف للنهوض بالمجتمع، ويعّد الجانب الفكري والثقافي من أكثر توجهاتهم.

ومن بين هذه الأقطار نجد تونس التي عرفت العديد من موجات التغيير والإصلاح على يد مصلحين كثر من خلال إهتمامهم بالقضايا التي تخص الأمة آنذاك، ومن بين هذه القضايا التي شغلت تفكيرهم " **موضوع التعليم** " لتأثيره الفعال في النهوض بالأمم، ويعد جامع الزيتونة واحدا من مراكز الإشعاع الفكري والعلمي التونسي الذي ساهم بدوره في الحياة الفكرية والعلمية والأدبية التي طبعت البلاد التونسية في تلك الفترة، ومن هذا المنطلق جاءت دراستي المعنونة ب" محمد الطاهر بن عاشور ودوره الإصلاحي في تونس (التعليم) 1879ـ 1973م".

أسباب اختيار الموضوع:

يعود سبب اختيارنا للموضوع الى أسباب ذاتية تتمثل في:

- رغبتنا في دراسة جزء من الجانب الثقافي والإجتماعي من تاريخ تونس.
- التعرف على أهم رواد الإصلاح في تونس.
- الرغبة في التعرف على جامع الزيتونة كمعلم من معالم الفكر والثقافة ومعرفة منهاج الدراسة فيه.
- الشغف بمعرفة الإصلاح الذي قام به الطاهر بن عاشور في جامع الزيتونة.

أما بالنسبة للأسباب الموضوعية فهي تتمثل في:

- المساهمة في إثراء شعبة علوم الإنسانية بهذا الموضوع لكي يستفيد الطلبة منه.
- التعرف على الجوانب الخفية لشخصية محمد الطاهر بن عاشور من خلال ما قدمه للمجتمع.
- اكتشاف الهدف من الإصلاح والأسباب التي دفعت هذه الشخصية للإهتمام بقضايا المجتمع وما آل إليه.

أهداف الدراسة : نهدف من خلال هذه الدراسة إلى :

- تسليط الضوء على شخصية محمد الطاهر بن عاشور وآثاره.
- التعرف على دوره الإصلاحي في المجال الديني والإجتماعي.
- التعريف بجامع الزيتونة كمركز استقطاب لطلبة العلم من كل صوب.

– إبراز الجهود الإصلاحية للطاهر بن عاشور في مجال التعليم وإعطاء تقييم لمشروعه الإصلاحي.

الإشكالية :لمعالجة الموضوع طرحنا الإشكالية التالية:

إلى أي مدى ساهم محمد الطاهر بن عاشور بجهوده الإصلاحية في التعليم بتونس؟

ويندرج ضمن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات وهي:

– من هو محمد الطاهر بن عاشور وما عصره؟

– ما دوره في الإصلاح الديني والإجتماعي؟

– كيف كان التعليم بجامع الزيتونة؟

– وفيما تمثلت إسهامات محمد الطاهر بن عاشور في إصلاح التعليم؟

المنهج المتبع:

إعتمدتنا في دراستنا للموضوع على المنهج التاريخي من خلال تسلسل الأحداث التاريخية بتتبع عصر محمد الطاهر بن عاشور ونشأته والمنهج الوصفي في وصف حياته وأعماله والمنهج التحليلي لتحليل دوره الإصلاحي ونتائج الإصلاح التي توصل اليها، أما المنهج المقارن فقد إعتمدت عليه في المقارنة بين أوضاع التعليم قبل مجيئه والتعليم في عصره، وذلك لإبراز جهوده الإصلاحية.

خطة الموضوع:

قسمنا الدراسة إلى مقدمة وثلاث فصول وخاتمة وتزويد الموضوع بمجموعة من الملاحق.

حيث تطرقنا في المقدمة إلى وضع تمهيد وأسباب إختيار الموضوع وطرح إشكالية تلم بالموضوع والمنهج المتبع في الدراسة والصعوبات التي واجهتنا في إنجاز هذا البحث وبعض المصادر والمراجع المتبعة في دراسة هذا الموضوع.

الفصل الأول: الذي عنوناه بـ: "نبذة عن شخصية محمد الطاهر بن عاشور وأثاره "، حيث تناولنا فيه ثلاثة عناصر وذلك من خلال التطرق الى بيئته ونشأته حيث أنه عاصر مرحلتين مرحلة الإستعمار الفرنسي ومرحلة الإستقلال وكذلك تتطرق الى نسبه ومولده، وتناولنا مكانته العلمية وأيضا تكلمنا عن وفاته وما قال العلماء عنه إلى جانب ذلك تناولنا الوظائف التي تقلدها والتي شملت الوظائف الإدارية والوظائف القضائية والعلمية وتناولنا مؤلفاته والتي تمثلت في الأدب والشريعة.

الفصل الثاني: الذي كان بعنوان "دور محمد الطاهر بن عاشور في الإصلاح الديني والإجتماعي" حيث عالجت فيه عنصرين وذلك من خلال التحدث عن دوره في الإصلاح الديني بالتطرق إلى إسهاماته في التفسير والإفتاء ومقاصد الشريعة، بالإضافة الى دوره في الإصلاح الإجتماعي من خلال تناول المبادئ العامة للمجتمع الإسلامي وكذلك الدعوة الى إيجاد جامعة إسلامية وتعليم المرأة.

الفصل الثالث:

الذي كان تحت عنوان "محمد الطاهر بن عاشور ودوره في إصلاح التعليم بجامع الزيتونة" والذي تناولت فيه ثلاثة عناصر حيث تحدثنا عن التعليم في جامع الزيتونة قبل مجيء الطاهر بن عاشور وذلك من خلال التعريف بجامع الزيتونة ووضع التعليم فيه سابقا والتطرق إلى المحاولات الإصلاحية للتعليم، إلى جانب ذلك تناولنا إسهامات محمد الطاهر بن عاشور في إصلاح التعليم من خلال التطرق إلى نظرته الى أسباب ضعف التعليم وإصلاحه للتآليف والعلوم وإصلاح منهاج الدراسة، وفي الأخير وضعنا تقييم لمشروعه الإصلاحي لمعرفة الصعوبات التي واجهته ونتائج الإصلاح.

أهم المصادر والمراجع:

إعتمدت في دراستي لهذا الموضوع على جملة من المصادر والمراجع أهمها:

- كتاب " صفحات من تاريخ تونس" لمؤلفه محمد بن خوجة الذي أفادني كثيرا في معرفة الوضع الثقافي بتونس في عصر محمد الطاهر بن عاشور بالإضافة الى كتاب "مقاصد الشريعة" لمؤلفه محمد الطاهر بن عاشور الذي ساعدني في إعطاء لمحة عن شخصيته.

- وكتاب "شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره" للمؤلف بلقاسم الغالي الذي أفادني في إنجاز هذا البحث باعتباره مرجع تكلم عن كل تفاصيل حياة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور وإعتمدته خاصة في الفصل الثاني، وأيضا مرجع "شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور" لمؤلفه محمد الحبيب بن خوجة.

- كتاب" أليس الصبح بقريب " لمحمد الطاهر بن عاشور الذي يعتبر محور الدراسة وإعتمدته في الفصل الثالث، وأيضا مرجع "محمد الطاهر بن عاشور علامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه لمؤلفه" إياد خالد الطباع بالإضافة الى مرجع "النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين"

لمؤلفه محمد رجب البيومي الذي أعانني في الإحالات للتعريف بشخصيات، والعديد من مصادر ومراجع أخرى كانت هذه أهمها.

الصعوبات:

من الصعوبات التي واجهتني في إنجاز هذا البحث هي :

- إفتقار المكتبات الجزائرية لمراجع تخص تاريخ تونس خاصة فيما يتعلق بالشخصيات.
- قلة المعلومات التي تخص شخصية محمد الطاهر بن عاشور خاصة كونه لم يدون عن سيرته.
- صعوبة ضبط الخطة كون الموضوع يشمل ثلاث متغيرات وجب الإلمام بها.
- عدم تمكني من الحصول على مراجع باللغة الأجنبية لإثراء هذا الموضوع بالمعلومات.

الفصل الأول:

نبذة عن شخصية محمد الطاهر بن عاشور وآثاره

أولا ـ عصره:

أ- الأوضاع السياسية:

كان عصر محمد الطاهر بن عاشور عصر إضطربات وفتن، فالبلاد التونسية كانت تحت وطأة الديون الخارجية وقد ثقل كاهل التونسيين بالضرائب وضعف نفوذ الخلافة العثمانية التي انحلت إلى دويلات ضعيفة لا همّ لحكامها إلا التبذير والإسراف[1]، إذ دخلت القوات الفرنسية إلى العاصمة التونسية عام 1880م ووضعت للباي مهلة أربع ساعات للتفكير، ولم يجد بد من عقد معاهدة " باردو"[2]، التي منحت فرنسا حق الإشراف على الشؤون العسكرية والخارجية والمالية، وحق تعيين وزير فرنسي مقيم بتونس يكون همزة وصل بين تونس وفرنسا.

بعد فرض الحماية الفرنسية على تونس لم يبق من الوزارات القديمة غير منصبي الوزير الأكبر ووزير القلم والإستشارة، وهذا ما أدى إلى وجود ضغط من طرف الوطنيين التونسيين فأحدثت فرنسا وزارة العدل التونسية سنة 1921م، ثم انشأت وزارة للشؤون الإجتماعية سنة 1945م، هذا بعد ضغط الدبلوماسين الكبير وظهور جبهات جهادية أضرت كثيرا بالجيش الفرنسي، وتحصلت تونس على إستقلالها سنة 1956 م، فجاءت مرحلة الإستقلال وشهدت صراعات كبيرة جراء التبعية الثقافية والدسائس السياسية[3].

ب- الأوضاع الإقتصادية:

شهدت تونس قبيل الإحتلال سنة 1830م أزمة مالية حادة مما اضطرها إلى الإستدانة من الدول الأوربية، كفرنسا وبريطانيا وايطاليا، وكذلك فرض الضرائب والجبايات التي أرهقت المواطنين بعد وقوع تونس تحت الحماية الفرنسية، حرص المستعمر على نهب الثروات البلاد وأملاك الدولة من الأرض البور، كما فرضت فرنسا نظاما جمركيا مجحفا جعلت تونس بموجبه سوقا للبضائع الفرنسية وحدها، وجعل الصادرات لا تتجه إلى فرنسا ومما يشهد في هذه المرحلة أيضا جمع فرنسا

---

[1]. بلقاسم الغالي، **شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وأثاره**، دار إبن حزم، بيروت ـ لبنان، 1996م، ص: 17.

[2]. تم توقيعها من قبل الجنرال بربيار والباي في قصر باردو بتونس في 12ماي 1881م، والتي تنص على فرض الهيمنة الفرنسية على البلاد التونسية. أنظر:علي محجوبي، **إنتصاب الحماية الفرنسية بتونس**، تر:عمر بن ضر وآخرون، سراس للنشر 1986م ص:60.

[3]. رابح عطاسي،**أليات الإستنباط عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور من خلال تفسيره التحرير والتنوير**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تخصص الفقه ودراسات القرآنية، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر، 1432هـ/ 2011م، ص:30.

لكل أفراد الجالية الأوربية ومنها الجنسية الفرنسية لتكثير عدد رعاياها، وبعد الإستقلال حرصت تونس على بناء نفسها وتطوير اقتصادها[1].

جـ – الأوضاع الإجتماعية والثقافية:

فيما يخص الجانب الإجتماعي نجد أن تونس شهدت كغيرها من البلدان الغير الأوربية إنفجار ديمغرافي حقيقيا، وخاصة منذ الثلاثينيات والذي أدى إلى إنخفاض معدل عمر السكان كما ظهر إنقلاب في أوضاع الحياة بالأرياف، حيث تضاعف عدد السكان بينما المساحات الصالحة للإستغلال ومواطن الشغل تتناقص لتوفر المكان للمعمرين الأوروبيين أما المجتمع الحضري والمدن فتضاعف عدد سكانها مع بعض التطورات في المجال الإقتصادي[2].

أما الجانب الثقافي فقد عُرفت تونس بثقافتها العربية الإسلامية الخالصة من خلال التعليم القرآني الذي يلقن في الكتاتيب، هذه الأخيرة التي كانت تتكون فيها الإطارات الدينية والإدارية وأنشئت المدرسة الصادقية سنة 1875م على يد الوزير خير الدين باشا، الذي كان له دور بارز في الإصلاح بصفة عامة والإصلاح التعليمي بصفة خاصة، وسميت بالصادقية نسبة إلى محمد الصادق الباي" وهي عبارة عن ثانوية عصريه يكون التعليم فيها قائما من جهة على اللغة العربية وآدابها والعلوم الإسلامية ومن جهة أخرى على تعلم اللغات الأجنبية والعلوم التجريبية كالرياضيات والفيزياء والكيمياء والعلوم الطبيعية".

كما أسس "خير الدين باشا"مكتبة زيتونة الجديدة إلى جانب المكتبة الأحمدية، تحل المكتبة الصادقية في محل مكتبة قديمة، يرجع تاريخها إلى العهد الحفصي وهي التي سميت فيما بعد بالمكتبة العبدلية[3]، وأخر تحبيس تمتعت به هذه المكتبة هو الكتب النفيسة التي وقّفها وقد تضمن هذا التحبيس جملة من الكتب النادرة منها تفسير الإمام الثعلبي النسابوري[4]، ومما زاد في إثراء هذه المكتبة تحبيسات العلماء والمدرسين لمكتباتهم الخاصة، مما أعطى طابع الإنتقائية للكتب المتوفرة

---

[1]. رابح عطاسي، مرجع سابق، ص:31.

[2]. محمد الهادي الشريف، **تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الإستقلال**، تع: محمد الشاوش، محمد عجينة، دار سراس تونس، 1993م، ص ص:105، 106.

[3]. براهيمي طاهر، **أصول التفسير عند الشيخ محمد الطاهر إبن عاشور**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية تخصص لغة ودراسات قرآنية، قسم اللغة والحضارة الإسلامية، جامعة الجزائر، 2005–2006م، ص:13.

[4]. محمد بن خوجة، **صفحات من تاريخ تونس**، تر: حامدي الساحلي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م، ص 307.

فيه، ككتب البيارمة التي تضمنت عيونا ونفائس من الكتب والمخطوطات في أربعة أجزاء خاتمها وافق العدد 5808 الذي هو آخر عدد عمومي لها بالمكتبة العبدلية بإشتمال ذلك على مجموعة من الفهارس المصرية والتركية والأوربية.

وكان لجامع الزيتونة الدور الأكبر في الحفاظ على الهوية العربية والإسلامية لتونس منذ تأسيسه إلى أواخر القرن التاسع عشر وقد كانت المكتبة ثرية و حظيت بكثير من التحبيسات في عصر محمد الطاهر بن عاشور، وكانت مركزا للقاء النخبة المثقفة ووسيلة ربطهم بمختلف تيارات عصرهم، فساهمت بذلك في تكوين النهضة الفكرية في ذلك العصر[1]، كما ظهرت على المستوى الصحفي عدة جرائد من بينها جريدة "الحاضرة الأسبوعية"سنة 1880م ومجلة زهرة سنة 1890م وجريدة"سبل الرشاد"سنة1895م، وكان لكل جريدة إتجاه إصلاحي حسب الخلفية الثقافية لأصحابها، كما ظهر في المشرق مجالات كان لها صداها الواسع في المجال الإصلاحي والثقافي كمجلة العروة الوثقى ثم مجلة المنار.

أثر العصر الذي عاشه محمد الطاهر بن عاشور في شخصيته كونه شهد مرحلتين مختلفين مرحلة الإستعمار وهي المرحلة الأهم إذ وافقت أيام الطلب وعز الشباب وقابلية التأثر ومرحلة الإستقلال وهي مرحلة النضج والعطاء وإستخلاص العبر والدروس وإنتزاع النتائج من التجارب، وكتب ابن عاشور شاهدة على عظيم تأثره بمحيطه وعصره.

2- نسبه ومولده:

أ- نسبه:

يعود نسب "محمد الطاهر بن عاشور" إلى الأسرة العاشورية[2]، التي قيل عنها أنها تنتمي إلى الأدارسة ، إستقرت بإسبانيا المسلمة، يقال إن "عاشور" الهارب الى المغرب للمحافظة على دينه، ولد ابنه "محمد" بسلا حوالي 1621م وتبدأ أسرة "محمد ابن عاشور" في التاريخ التونسي عن طريق التصوف ثم عن طريق الفقه، والتعليم والخطط الدينية.

[1]. براهيمي طاهر، مرجع سابق، ص:13.

[2]. محمود الباي، **مقصد حفظ العقل عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور**، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العلوم الإسلامية تخصص فقه وأصول، كلية العلوم الإجتماعية والعلوم الإنسانية، قسم الشريعة، جامعة الحاج لخضر، باتنة 2005 - 2006م ص:6. أنظر للملحق الوثائق رقم (1) ص63.

برز "محمد ابن عاشور" وقد أخذ التصوف بالمغرب عن الشيخ "محمد القشيري" بصفته شيخا لإحدى الطرق، وإستقر بتونس إثر دعوته إلى الحج، وكان يبلغ حوالي ثلاثين سنة من عمره وإمتهن صنع الشواشي، وفي تونس وقع في البداية تحت تأثير الشيخ "علي زواوي"، وقد خلف هذا الشيخ عند وفاته، بصفته شيخا للطريقة في الزاوية التي تحمل اسمه، وكانت تقع في نواحي باب المنارة أحد أبواب العاصمة، وقد إندثرت منذ بضع سنوات فقط، لكنه إتبع في النهاية طريقة "أبي حسن الشاذلي"[1]، وكان لمحمد بن عاشور موقف منكمش وربما معاد إزاء السلطة وعاش حياة الفقر الشديد وخلفه إبنه "عبد القادر"، المتصوف الشهير سمي إبنه بصفته شيخا لطريقة، وبدأت العائلة بأبناء أحفاده "أحمد" المتوفي 1839م و"محمد" المدعو حمدة المتوفي 1849م وخاصة "محمد الطاهر الأول" المتوفي 1868م، برز في ميدان العلوم الإسلامية، فدرس أحمد بجامع الزيتونة الأكبر النحو والفقه، وشغل مهنة عدل موثق، ودفن عند موته في الزاوية الموروثة عن الشيخ علي زواوي.

وكان "محمد الطاهر الأول" أشهر الأخوة الثلاثة، فبرز في نفس الوقت بصفته أدبيا، وقد إحتفظ بنماذج عديدة من نثره وشعره، والنحو والفقه، وله حاشية على شرح القطر وعين في 20 ماي 1851م قاضيا أكبر لتونس وهي خطة تركها سنة 1861م ليشغل خطة الإفتاء، وجمع بعد ذلك بينها وبين نقابة الأشراف، وتوفي في 14 أفريل 1868م ودفن في نفس الزاوية التي دفن فيها أخواه، وتواصلت تقاليد الأسرة في شخص حفيده المسمى كذلك "محمد الطاهر بن محمد بن المولود وفي شخص إبن حفيده محمد الفاضل "[2].

ومن هذا يمكن القول أن سلسلة شجرة "محمد الطاهر بن عاشور" كالآتي هو محمد بن محمد بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور" وأمه فاطمة بنت الشيخ الوزير محمد العزيز بن محمد الحبيب بن محمد الحبيب بن محمد الطيب بن محمد بن محمد بوعتور[3].

---

[1]. محمد الطالبي، **دائرة المعارف التونسية**، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، قرطاج، تونس، الكراس 04 ص ص: 48،49

[2]. نفسه، ص:49.

[3].محمد الحبيب إبن خوجة، **شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور**، الدار العربية للكتاب، تونس، 2008م ص:147.

ب ـ مولده:

بشرت العائلة العشورية بولادة محمد الطاهر بالمرسى وهي ضاحية من الضواحي الشمالية للعاصمة التونسية تقع على شاطئ البحر الأبيض المتوسط، تبعد عشرين كيلو متر عن مدينة تونس، وكانت ولادته سنة 1879م بقصر جده الصدر الأعظم محمد العزيز بوعتور[1]، في أسرة علمية عريقة تمتد أصولها إلى بلاد الأندلس، وقد نبغ من هذه الأسرة عدد من العلماء الذين تعلموا بجامع الزيتونة [2]، ففي هذه البيئة العلمية ولد ونشأ، وعلى تلك الربوع شب بين أحضان والد يأمل فيه أن يكون على مثال جده في العلم والنبوغ والعبقرية، وفي رعاية جده الذي يحرص على أن يكون خليفته في العلم والسلطان والجاه.

3 – نشأته وتعليمه:

أ – نشأته

نشأ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور[3]، في رحاب العلم والجاه، فقد خص منذ نشأته بعناية فائقه من والده محمد الذي كان زيتوني التكوين ورئيسا لجمعية الأوقاف، ومن جده لأمه "الوزير محمد العزيز بوعتور" وكانت هذه الصلة بين جد العالم والحفيد النبيه تزداد ارتباطا مع مرّ الأيام.

وقد بدأ تعلم القرآن الكريم في سن السادسة من عمره، فقرأ القرآن الكريم وحفظه على يد المقرئ الشيخ" محمد الخياري" بمسجد أبي حديد المجاور لدار جده بنهج الباشا في مدينة تونس ثم حفظ مجموعة من المتون العلمية كمتن الآجرومية في النحو وابن عاشر في الفقه المالكي وغير ذلك[4]، وتلقى الشيخ المبادئ الأولى في قواعد اللغة العربية على الشيخ أحمد بدر الكافي، اعتمادا على شرح خالد الأزهري على الآجرومية[5].

وفي سنة 1310ه التحق الشاب محمد الطاهر بن عاشور بجامع الزيتونة لطلب العلم وكانت المواد التي تدرس بالمعهد الديني متنوعة بين مقاصد ورسائل وعلى هذا الأساس درس

---

[1]. بلقاسم الغالي، مرجع سابق، ص:37.

[2]. محمد الطاهر بن عاشور، **مقاصد الشريعة الإسلامية**، ت: حاتم بوسمة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 2011م، ص: 18.

[3]. أنظر ملحق الصور رقم(8)، ص71.

[2]. أنظر الملحق الوثائق رقم(2)، ص 64.

[5]. محمد بن سعد بن عبد الله القرني، **الإمام محمد الطاهر ابن عاشور ومنهجه في توجيه القراءات من خلال تفسيره التحرير والتنوير، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير**، قسم الكتاب والسنة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، مملكة العربية السعودية،1427ه، ص ص:10،11.

علوم المقاصد كتفسير القرآن والقراءات والحديث ومصطلحات والعقيدة وغيرها[1]، وثابر في تعلمه حتى حصل على شهادة التطويع عام1899م بتفوق وامتياز، وهي شهادة تنتهي بها المرحلة الثانوية، ويخول لصاحبها حق التدريس في الدرجات الأولى من التعليم الزيتوني[2]، وواصل تعلمه بنفس الجامع مثيرا إعجاب شيوخه وأقرانه، وكان يقضي أوقاته في مطالعة الكتب وتحرير جريدة داخل الدار يذكر فيها الأخبار ويصف المشاهد التي يحضرها.

قال عنه الشامخي "وقد تلقى علومه الأولى في جامع الزيتونة، وعلى يد جده لأمه الشيخ الوزير عبد العزيز بوعتور، واغترف من مكتبته الغنية، وقد ساعده في ذلك مواهب واضحة من جودة حفظ ونقاء الذهن وصفاء بصيرة، وحدة الذكاء وطول صبر وقدرة الإحتمال "[3].

ب – تعليمه:

أما عن تحصيله العلمي فقد تلقى تعليمه على العديد من المشايخ نذكر منهم:

– محمد ابن محمد بوعتور[4]: ولد سنة 1240هـ تلقى العلم بجامع الزيتونة وأخذ عن محمد الطاهر بن عاشور الجد، وكان حريصا على إصلاح التعليم الزيتوني وأسهم في تأسيس المدرسة الصادقية وجمعية الأوقاف، وشغل منصب وزير القلم ثم وزير العدل، توفي سنة 1907م وكان للشيخ بوعتور عظيم الأثر في توجيه الحفيد إبن عاشور، وقد ذكره هذا الأخير في تفسيره عرفانا لجهده وتربيته[5].

– سالم بوحاجب المنستري التونسي:الشيخ والعالم والسياسي، ولد بقرية " النملة " من قرى المنستير سنة 1244هـ، حفظ القرآن الكريم صغيرا، تعلم بالجامع الأعظم وأخذ العلم عن شيوخه ولفرط ذكائه وألمعيته أنتخب لكتابة المجلس البلدي عند تأسيسه، فكان منفذ معرفته بخير الدين التونسي بل كان أحد العقول الكبيرة التي أعانت خير الدين على تألفيه كتابه "أقوم المسالك في معرفة

---

[1]. محمد الطاهر بن عاشور، **أصول الإنشاء والخطابة**، تح: ياسر بن حامد المطيري، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض 1433هـ، ص ص:11- 12.

[2]. إياد خالد الطباع، **محمد الطاهر بن عاشور علامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه**، دار القلم، دمشق، 2005م، ص:8

[3]. براهيمي طاهر، مرجع سابق، ص:18.

[4]. محمد بن خوجة، مرجع سابق، ص:422.

[5]. رابح عطاسي، مرجع سابق، ص: 34.

أحوال الممالك" وقد شارك بوحاجب في نشاطات سياسية عدة، وباشر أعمالا إدارية وتعليمية وصحافية وإصلاحية[1].

ـ الشيخ محمد صالح الشريف: وهو من الأعلام البارزين الذين تلقى عنهم إبن عاشور خاصة دروس التفسير والعقائد، من أشهر دروسه تفسيره لكتاب " الكشاف للزمخشري" ولعل هذا من أسباب ولوع الشيخ ابن عاشور بهذا التفسير ونقله عنه ومناقشته لآرئه الإعتزالية ونهجه ومنهجه اللغوي كما أشتهر صالح الشريف بدرسه " شرح سعد على العقائد النفسية[2].

كما درس على الإمام محمد الطاهر بن عاشور عدد كبير من الطلبة الجزائريين والتونسيين الذين أتمّوا دراستهم العليا في الزيتونة[3]، فتتلمذ على يده الكثير من التلاميذ نذكر منهم:

ـ إبنه الفاضل ابن عاشور[4]: يقول عنه"في إجازته إياه قرأت عليه بجامع الزيتونة درسا مدة خمس سنين تفسير البيضاوي والمؤطأ وديوان الحماسة وإقتبست من ملازمته وخدمته سفرا وحضرا أدبا ورأيا وعلما وهديا وجميل الأخلاق وصفات واسعة معرفة وباهر المحاضرات، زاد الله في رفعة شأنه، وأقر عني شكرا إحسانه"[5].

– عبد الحميد إبن باديس[6]: درس الأدب على العلامة الشيخ محمد الطاهر وتفسير القرآن الكريم على العالم الكبير "محمد النخلي القيراوني" وبعد ثلاث سنوات من الدراسة، نال شهادة التحصيل كما حصل على شهادة التطويع[1]

---

[1].عبد الروؤف صوان، **مقاصد العقائد عند الشيخ الطاهر بن عاشور**، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العلوم الإسلامية تخصص عقيدة، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر، 1437-1438هـ/2016 -2018 م، ص:34.

[2]. بلقاسم الغالي، مرجع سابق، ص:45.

[3]. محمد الصالح الصديق، **أعلام المغرب العربي**، (د.د)، الجزائر، 2008م،ج 2، ص:175.

[4]. ولد 1909-1970 م وهو أديب، خطيب، مشارك في علوم الدين، من طلائع النهضة الحديثة النابهين، في تونس مولده ووفاته بها، تخرج بالمعهد التونسي، وأصبح أستاذ فيه كعميدا وكان من أنشط أقرانه، من مؤلفاته (أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ مغرب العربي والحركة الأدبية والفكرية في تونس..) للمزيد أنظر: خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ط5، دار العلم للملايين1980م،ج 6 ص:326.

[5]. بلقاسم الغالي، مرجع سابق، ص:66.

[6]. ينتهي نسبه الى المعز بن باديس الصنهاجي، ولد سنة 1307هـ/1889م، في مدينة قسنطينة، في1931م أسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وإنتخب رئيسا لها، وتخرجت عليه طبقة من العلماء والأدباء، فكانوا رواد النهضة الجزائرية الحديثة في العلم والأدب والوطنية..للمزيد أنظر: زكي محمد مجاهد،**الأعلام الشرقية في المائة الرابعة في عشرة هجرية**،ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، 1994، ص: 1039.

– زين العابدين بن حسين: ولد بتونس عام 1317هـ، وهو شقيق الشيخ محمد الخضر حسين وهو من خريجي جامع الزيتونة، ثم إستقر بدمشق وعمل مدرسا فيها إلى أن توفي سنة 1377هـ وكان آية في الذكاء مع صلاح ووقار ومن مؤلفاته، المعجم في النحو والصرف والأربعون النووية في الحديث.

ـ محمد الصادق الشطي:هو محمد صادق بن محمد الشطي ولد سنة 1312هـ وهو فقيه من فضلاء تونس قضى ربع قرن مدرسا بجامع الزيتونة (1324هـ) وله عدة مؤلفات منها: روح التربية والتعليم، ولباب الفرائض.

ـ محمد بن خليفة المدني: هو محمد بن خليفة بن حسن بن الحاج عمر خلف الله المشهور بالمدني، ولد سنة 1307هـ، وهو مفسر فقيه (ت 1378هـ)، من مؤلفاته: تفسير الواقعة وتفسير سورة الفاتحة ومجموعة تفاسير لآيات معينة[2].

4– وفاته وثناء العلماء عليه:

أ– وفاته:

توفي محمد الطاهر في 12 أغسطس1973م، بعد حياة حافلة بالعلم والإصلاح والتجديد على مستوى تونس والعالم الإسلامي[3]، توفي عن عمر ناهز أربع وتسعين سنة في ضاحية المرسى قرب تونس العاصمة، ودفن بمقبرة الزلاج[4]، وقد ذكر ذلك بلقاسم الغالي بقوله "توفي الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في يوم الأحد الثالث عشر من رجب عام 1393هـ الموافق للثاني عشر من أغسطس عام 1973م عن عمر يقارب سبعا وتسعين عام شغلها كلها في الاستفادة والإفادة، فأتسعت معارفه وتبحر في العلوم بما منحه الله له أن ينشر معارفه وأفكاره في مؤلفاته"[5].

---

[1]. فهمي توفيق محمد،**عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والنهضة في تاريخ الجزائر الحديث**، 1889-1940 م،(د.ط)،(د. د)،(د.س)، ص:5.

[2]. محمد بن سعد بن عبد الله القرني، مرجع السابق، ص: 15.

[3]. عامر خليل إبراهيم، **المصلحة المرسلة عند إبن عاشور من خلال تفسيره**، مجلة الأستاذ، كلية التربية للبنات للعلوم الانسانية جامعة بغداد، ع201، لسنة 1433هـ ـ 2012م، ص:318.

[4]. إياد خالد الطباع، مرجع سابق، ص:13.

[5]. بلقاسم الغالي ، مرجع سابق، ص:33.

وقيل إنه توفي رحمه الله بعد علة يسيرة ألمت به، حيث أدى صلاة العصر، وإلتحق بجوار ربه قبل صلاة المغرب من يوم الأحد 3 رجب 1393هـ[1].

ب- ثناء العلماء عليه:

قال عنه العلامة الأستاذ البشير الإبراهيمي[2] "الأستاذ الأكبر محمد الطاهر بن عاشور علم من الأعلام الذين يعدهم التاريخ الحاضر من ذخائره، فهو إمام متبحر في العلوم الإسلامية مستقل في الاستدلال لها، واسع الثراء من كنوزها، فسيح الذرع بتحملها، ناقد البصيرة في معقولها وافر الإطلاع على المنقول منها، أقر وأفاد، وتخرجت عليه طبقات ممتازة في التحقيق العلمي هذه لمحات دالة على منزلته العلمية، وخلاصتها أنه إمام في العمليات لا ينازع في إمامته أحد".

والعلامة محمد الخضر حسين[3] بقوله "شب الأستاذ على ذكاء فائق وألمعية وقادة فلم يلبث أن ظهر نبوغه بين أهل العلم" والعلامة ابن باديس يقول"إن أنسى فلا أنس دروسا قرأتها من ديوان الحماسة على الأستاذ ابن عاشور، وكانت من أول ما قرأت عليه، فقد حببني في الأدب والتفقه في كلام العرب وثبت في روحا جديدا في فهم المنظوم والمنثور، وأحييت مني الشعور بعز العروبة، والإعتزاز بها كما أعتز بالإسلام"[4].

قال عنه الداعية المصلح الشيخ محمد الغزالي[5] "هو رجل القرآن الكريم وإمام الثقافة الإسلامية...ابن عاشور لا يمثل صورة من اللحم والدم وإنما يمثل تراثا أدبيا علميا عقائديا أخلاقيا"[1].

---

[1]. محمد الطاهر بن عاشور، **شرح مقدمة الأدبية لشرح المرزوقي على ديوان الحماسة لأبي تمام**، تح:ياسر بن حامد المطيري مكتبة دار المنهاج، الرياض، 1431هـ، ص:19.

[2] . من مواليد 1306هـ -1385هـ /1889م - 1956م بدائرة سطيف وهو محمد بن البشير بن عمر الإبراهيمي رئيس ثاني لجمعية العلماء مسلمين الجزائرين، وعضو المجامع العلمية العربية في القاهرة ودمشق، وأحد رجال الإصلاح الإسلامي ومن آثاره: عيون البصائر وأسرار ضمائر في اللغة ...لمزيد أنظر:عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر**، ط2، مؤسسة نويهض ثقافية بيروت - لبنان1980، ص:13.

[3]. هو محمد الخضر بن حسين بن علي بن عمر الحسني التونسي، ولد بمدينة "نفطة" في جنوب تونس في 1876م، وقد أسس عام 1928م مع عدد من علماء الأزهر "جمعية الهداية الإسلامية"، وكان أول رئيس لها أنظر: **موسوعة أعلام الفكر الإسلامي** الموسوعة العربية، مج الثامن عشر، القاهرة، 1425هـ/ 2004م، ص: 937. وأنظر: أحمد تيمور بك، **أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث**، دار الأفاق العربية، 2003م، ص:378.

[4]. رابح عطاسي، مرجع السابق، ص:39.

[5]. ولد في 1917 - 1996م بقرية " نكلا " بالجيزة، من أكبر مفكرين الإسلام ودعاته والكتاب في عصره، ومن أكبرهم في تبيان أسباب تخلف المسلمين، والدعوة للنهوض بهم، ومن أحسن الناس طريقة بالدعوة إلى الإسلام، له ستين مؤلفات من بينها "من هنا

أما محمد الحبيب الخوجة[2] قال عنه "هو نمط فريد من الأشباح لم نعرف مثله بين معاصريه أو طلابه أو من كان في درجتهم من أهل العلم، إذا كان إنكبابه على الدرس متميزا"[3].

ثانيا- الوظائف التي تقلدها:

1- وظائف إدارية:

تولى محمد الطاهر بن عاشور مناصب إدارية عديدة تمثلت في:

إعتناؤه بضبط المخطوطات في كل من جامع الزيتونة والمكتبتين العبدلية و الصادقية من سنة 1905إلى غاية 1960م[4]، وعين الشيخ محمد الطاهر بن عاشور عضو بمجلس إدارة الجمعية الخلدونية سنة 1905م، ثم سمي نائبا أول عن الدولة لدى النظارة العلمية بجامع الزيتونة سنة 1907م، فبدأ في تطبيق رؤيته الإصلاحية العلمية الزيتونية وأدخل بعض الإصلاحات على الناحية التعليمية، وحرر لائحة في إصلاح التعليم وعرضها على الحكومة فنقدت بعض ما فيها، وسعى إلى إحياء بعض العلوم العربية فأكثر من دروس الصرف في مراحل التعليم وكذلك دروس أدب اللغة، ودرس بنفسه "شرح ديوان الحماسة لأبي تمام"[5]، وفي سنة 1908م سمي عضوا في لجنة التنقيح برامج التعليم وكتب تقريرا عن حالة التعليم واقترح إيجاد تعليم إبتدائي إسلامي في مدن القيروان وسوسة وصفاقس وتورز وقفصة، وفي سنة 1909م، عين عضو بمجلس المدارس وبمجلس إدارة الصادقية وشارك في مجالس إصلاح التعليم المتعاقبة[6].

نعلم"، "الإسلام والمناهج الإشتراكيين"،"الإسلام والأوضاع الإقتصادية". أنظر:أحمد العلاونة، **ذيل الأعلام قاموس المستعربين والمستشرقين**، إدارة المنارة، جدة، سعودية، 1989م، ص:193.

[1]. محمد الطاهر بن عاشور، **مقاصد الشريعة**، مصدر سابق، ص:28.

[2]. ولد يوم 24 اكتوبر 1922، في مدينة تونس وهو العلامة والأستاذ العميد، الباحث المحقق، الفقيه المحدث المفتي سماحة الشيخ محمد الحبيب بن شاذلي بن الهادي إبن خوجة، له العديد من الوضائف العلمية والإدارية، من آثاره "الدعوة الإسلامية وإفريقيا، الجهاد في الإسلام ..الخ . أنظر:محمد العزيز الساحلي، **المنعم سماحة الشيخ الدكتور محمد الحبيب إبن خوجة(1922- 2012م)**، مجلة فتاوى تونسية، ع الأول، 2017م، ص:7.

[3]. محمد محفوظ، **تراجم المؤلفين التونسيين**، ج 4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص:165.

[4]. عبد الرؤوف تاج الدين صوان، مرجع سابق، ص:36.

[5]. محمد الطاهر بن عاشور، **مقاصد الشريعة الإسلامية**، مصدر سابق، ص ص:26،28.

[6]. محمود الباي، مرجع سابق، ص:7.

ثم ترأس لجنة فهرسة المكتبة الصادقية ابتداء من 1910م والتحق بعد ذلك بمجلس إصلاح التعليم الثاني بجامع الزيتونة فكان عضوا به سنة 1910م، وفي السنة الموالية عين عضوا بمجلس الأوقاف الأعلى سنة 1911م[1].

وفي سنة1923م عاد إلى التدريس بالجامع الأعظم وبالمدرسة الصادقية وفي السنة نفسها سمي نائبا عن الشيخ باش مفتي المالكية، ثم أُسندت إليه خطة شيخ الإسلام المالكي وهو أول من تولى هذه الخطة من المالكية، وفي السنة نفسها تولى مشيخة الجامع الأعظم وفروعه لأول مرة، وهو أول شيخ للجامع الأعظم بعد حذف خطة النضارة العلمية، وفي ذلك دلالة على منزلته العلمية المميزة، وكان بذلك أول شيوخ الزيتونة الذين جمعوا بين هذين المنصبين ولكنه لم يلبث أن استقال من المشيخة بعد سنة ونصف بسبب العراقيل التي وضعت أمام خططه لإصلاح الزيتونة وبسبب إصطدامه ببعض الشيوخ عندما عزم على إصلاح تعليم الزيتونة، ثم شيخا للجامع الأعظم 1940ـ 1952م وبعد إستقلال البلاد عين عميدا للجامعة الزيتونة سنة 1956م/ 1960م[2].

2ـ الوظائف القضائية و العلمية:

أـ القضاء:

فقد ثبت أنه شغل منصب مستشار الحكومة للشؤون الدينية ومنصب شيخ الإسلام المالكي سنة 1923 م بالإضافة الى توليه منصب مشيخة جامع الزيتونة الأعظم سنة 1923 ثم سنة 1944، ثم سنة 1956 إلى غاية 1960 كما اشتغل في التدريس وقد أسهم في تخريج رجال كان لها الأثر البالغ في العالم الإسلامي منهم "الشيخ عبد الحميد بن باديس" و"الشيخ البشير الإبراهيمي"، وابنه "محمد الفاضل بن عاشور"[3]. كما اختير حاكما بالمجلس المختلط العقاري سنة 1911م، وسمي قاضيا مالكيا للجماعة بالمجلس الشرعي 1913م حيث أبدى العزم والتبصر مما جلب إليه احترام الجميع، بموجب ذلك دخل في هئية النظارة العلمية المديرة لشؤون جامع الزيتونة[4].

---

[1]. محمد الحبيب بن خوجة، مرجع سابق، ص:122.

[2]. محمد الطاهر بن عاشور ، **مقاصد**، مصدر سابق، ص:28.

[3]. محمد حسين، **التنظير المقاصدي عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور في كتابه مقاصد الشريعة الإسلامية**، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه دولة، كلية العلوم الإسلامية، تخصص علوم أصول الفقه، جامعة الجزائر، 2002 ـ2003م، ص:34.

[4]. محمد الحبيب ابن خوجة، مرجع سابق، ص:128.

وفي سنة 1923م عاد إلى التدريس بالجامع الأعظم وبالمدرسة الصادقية وفي السنة نفسها سمي نائبا عن الشيخ باش مفتي المالكية، ثم أسندت إليه خطة باش مفتي المالكية سنة 1927م وقد أنتخب عضوا بالمجمعين، مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة 1905م والمجمع العلمي العربي بدمشق سنة 1955م[1]، وكانت له كتابات وتحرريات في مجلتيهما ويعتبرهما من المجلات العلمية بالمشرق كالموسوعة الفقهية بالكويت، التي كان يصدرها الشيخ مصطفى الزرقاء، ومجلة الهداية الإسلامية بالقاهرة، وعدد من الصحف والمجلات الأخرى بالشرق كالمنار، وبتونس كالسعادة العظمى.

فهذه المناصب بحكم الأعباء التنظيمية وما تفرضه على صاحبها من احتكاك بالناس على اختلاف أصنافهم، تجر صاحبها إلى التفكير في أنجع الطرق وأيسرها مما يتيح له تحقيق غايات نبيلة، وأقدرها على الإبقاء على سيرورة المصالح الحيوية للمجتمع[2].

ب ـ وظائفه العلمية:

بعد حصوله على شهادة التطويع إنخرط في سلك التدريس بجامع الزيتونة كما درس متطوعا ثم فاز في مناظرة التدريس من الرتبة الثانية سنة1899م وكان موضوع الدرس في بيع الخيار وبعد أربع سنوات شارك في مناظرة التدريس من الرتبة الأولى فيها سنة 1903م[3].

وعين سنة 1900م مدّرسا بالمدرسة الصادقية مع بقائه مدرسا بالجامع الأعظم ولقد كان قيامه المبكر بالتدريس بالمدرسة الصادقية، التي كانت تسير على غير منهج التعليم الزيتوني مناسبة لإتصال بصنف من التلاميذ صلتهم باللغة الفرنسية والثقافة الأوربية أوثق وأعمق من صلتهم باللغة العربية والثقافة الإسلامية.

ولا شك أن هذه التجربة المبكرة في حياته قد فتحت وعيه على ضرورة ردم الهوة وتجاوز الصعاب، وبرز تيارين رئيسين هما: تيار الأصالة متمثلا في التعليم الإسلامي الذي كان جامع الزيتونة رمزه الأكبر وقناته الأساسية، وتيار المعاصرة الذي كانت المدرسة الصادقية حينها رمزه

[1]. أنظر الملحق الوثائق رقم(3)، ص65.

[2]. محمد حسين، مرجع سابق، ص:34.

[3]. محمود باي، مرجع سابق، ص:6.

وإطاره، بوصفها المؤسسة التي أنشئت لتدريس العلوم والمعارف الجديدة، مزاوجة مع العلوم الإسلامية لتكون بذلك إمتداد وتعضيدا للتعليم الزيتوني[1].

ثالثا – مؤلفاته:

ساهم محمد الطاهر بن عاشور في تأليف العديد من الكتب، بهدف تزويد المكتبة الإسلامية وإثرائها، والتي إمتازت بالفائدة العلمية والتجديد، في مجال الشريعة والأدب.

أ- مؤلفاته في الأدب من أهمها :

- أصول الإنشاء والخطابة، طبع هذا الكتاب سنة 1921م وتم تحقيقه من قبل "ياسر حامد المطيري" ويلي هذا الكتاب "الخطابة عند العرب" للعلامة محمد الخضر حسين، يحتوي هذا الكتاب على 213 صفحة، يهدف من خلاله المؤلف محمد الطاهر بن عاشور إلى أن يتعلم القارئ "آداب الكتابة والخطابة"[2]، ومعرفة الأصول وهي مجموعة قوانين الكتاب، وفيها تبيان طرق حسن التأليف وظروف الإنشاء وفنون الخطابة[3].

وحرص محمد الطاهر بن عاشور على التمييز بين هذين الفنين "الإنشاء والخطابة" عن غيرهما وأن يتجنب طريقة بعض المؤلفين، الذين يستدعون المسائل البلاغية والأدبية يكررونهاعلى مسمع الطالب، حيث قسم عنوان الكتاب إلى قسمين:قسم الأول فيه فن الإنشاء، وفيه قسمين (المعنوي واللفظي) وقسم ثاني في الخطابة[4].

بالإضافة إلى ديوان بشار بن برد، حيث جمعه وحققه وشرحه، نشرته الشركة التونسية 1976م في أربعة أجزاء[5]، حيث أن غرضه من التحقيق، كونه يرى أن الشعر مفعما بخصائص اللغة العربية ونكت بلاغتها، وبحاجة إلى تبين ما فيه، فتعليقه في الشرح متوسط بين التطويل والإقتصار وذكر في مطلع كل قصيدة الغرض أو الحادثة، التي قال فيها مما ذكره علماء الأدب والتاريخ مع زيادة بيان ما أهملوه[6].

---

[1]. مرجع نفسه، ص:6.

[2]. محمد الطاهر بن عاشور، **أصول الإنشاء والخطابة**، مصدر سابق، ص:2.

[3]. الهاشمي الأزهري المصري، **جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب**، (د. ط)، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان 1971م، ص:11.

[4]. محمد الطاهر بن عاشور،**أصول الإنشاء**، مصدر سابق، ص ص: 7-8.

[5]. محمد الحبيب ابن خوجة، مرجع سابق، ص:531.

[6]. محمد الطاهر بن عاشور، **مقدمة ديوان بشار بن برد**، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م، ص:6.

بالإضافة إلى كتابه "موجز البلاغة "غرضه من التأليف تقوية العلوم اللغوية والأدبية لدى الطلاب، وتقديم ما ينفعهم من المسائل، ممهدا لهم بتألفيه لهذا الكتاب إلى دراسة الكتب الواسعة في هذه المادة بقوله " فرأيت أن أضع لهم مختصر وجيزا يلم بمهمات علم البلاغة"[1].

كما ساهم محمد الطاهر بن عاشور بجمع وتعليق على قصيدة الأعشى الأكبر في مدح المحلق طبع بدار العرب بتونس 1929م ، وكذلك "حاشية التوضيح والتصحيح لمشكلات كتاب التنقيح على شرح تنقيح الفصول قي الأصول" ، طبع الكتاب بمطبعة تونس سنة 1341هـ، وكذا كتاب "كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في المؤطأ"، و"النظر الفسيح عند مضائق الأنظار في الجامع الصحيح"، صدر عن الدار العربية للكتاب بتونس، سنة 1979م[2]، وغيرها من المؤلفات في هذا المجال.

ب ـ مؤلفاته في الشريعة:

من بين مؤلفاته نذكر:

ـ أليس الصبح بقريب، طبع في تونس عن الشركة التونسية للتوزيع سنة 1927م ثم أصدرته ثانيا عام 1988م تضمن التعليم الإسلامي، دراسة تاريخية وآراء إصلاحية، يحتوي على 231 صفحة تعرض فيه لأطوار التعليم والطرق الكفيلة بتحقيق إصلاحه، بدأ في تدوينه سنة 1902م، كتب الكتاب بطبعتين، بعد أن طبع الأولى سنة 1967م[3].

ـ التحرير والتنوير، وسماه إبن عاشور في مقدمته ب (التحرير المعنى السديد، وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، وهذا الكتاب من أشهر الكتب لابن عاشور وأكبرها، وهو يعد من الموسوعات الضخمة في تفسير القرآن الكريم، صدر عن الدار التونسية للنشر، سنة 1984م.

ـ مقاصد الشريعة الإسلامية، طبع عدة طبعات أولها في سنة 1996م عن دار الإستقامة بتونس وآخرها بدار القلم بدمشق، بتحقيق الدكتور محمد الحبيب بن خوجة.

ـ أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، طبع عدة طبعات أولها عن الشركة التونسية سنة 1985م و آخرها دار النفائس، بعمان الأردن، بعناية "محمد الطاهر الميساوي".[4]

---

[1]. محمد الحبيب بن خوجة، مرجع سابق، ص:511.

[2]. خالد إياد الطباع، مرجع سابق، ص:152.

[3]. محمد الطاهر بن عاشور، **أليس الصبح بقريب**، دار سحنون، تونس، دار السلام، مصر، 1427هـ ـ 2006م ، ص:5.

[4].جمال محمود أحمد أبو حسان، **الإمام محمد الطاهر بن عاشور (سيرة ومواقف)**، مجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مج الخامس، ع (2/أ)، 1430هـ/2009م، ص ص: 72،73.

بالإضافة إلى كتابه "قصة المولد"، طبعته الدار التونسية للنشر، سنة 1972م، ويتناول هذا الكتاب سيرة النبوية المباركة[1].

إضافة إلى التوضيح والتصحيح في أصول الفقه للقارفي، تمت طباعته بمطبعة النهضة بتونس 1341هـ، والعنوان الكامل للكتاب هو"حاشية التوضيح والتصحيح لمشكلات التنقيح على شرح تنقيح الفصول في الأصول".

– نقد علمي لكتاب الإسلام وأصول الحكم، طبعته المطبعة السلفية، ومكتبتها بمصر سنة 1344هـ.

– تحقيقات وأنظار في القرآءن الكريم والسنة، جمع ونشر ابنه "عبد المالك"، تحقيق المسمى الحديث القدسي، نشر بمجلة العلمية للكلية الزيتونية في ثوبها الجديد، العدد الأول من السنة الأولى عام 1971م[2].

وكذلك كتابه "آمال على مختصر خليل"، تعاليق على المطول وحاشية السيالكوني آمال على دلائل الإعجاز، تعليق وشرح حديث أم زرع، رسالة القدر والتقدر، رسالة حكم لبس القبعة وأكل ذبائح النصارى، رسالة طهارة النسب النبوي من النقائص، فتاوى ورسائل فقهية، التوضيح والفصيح في أصول اللغة وغيرها من مؤلفاته التي لا حصر لها[3].

[1]. مرجع نفسه، ص:73.

[2]. خالد إياد الطباع، مرجع سابق، ص:114.

[3]. بلقاسم الغالي، مرجع سابق، ص:69.

الفـصل الثــانــي:

دور مـحـمد الطاهر بن عاشور في الإصلاح الديني والاجتماعي

أولا- الإصلاح الديني:

أ- الطاهر بن عاشور والتفسير:

1- مفهوم التفسير:

لإبراز نظرة بن عاشور في معرفة التفسير في اللغة يقال "صيغة تفعيل من الفسر والفسر تدل على بيان الشيء وإيضاحه" وقيل "هو بيان وتفصيل الكتب" يقال فسرّت القرآن وما تفسرّت عن هذا أي ما سألت عن تفسيره وهو كقولك ما استفسرته[1]، وهو قريب من التعريف اللغوي الذي وضعه الشيخ الطاهر بن عاشور والذي قال عليه "الإبانة والكشف لمدلول كلام أو لفظ بكلام آخر هو أوضح للمعنى الفسر عند السامع واعتبر الشيخ التفسير مصدر للمضاعف من فسر، وما جاء على هذه الصيغة يكون للتكثير عادة.

أما المعنى الإصطلاحي للتفسير فقد تباينت آراؤهم حول تحديد مفهوم مشترك له بل تجد أحيانا اختلافا جوهريا في تحديد مفهومه والسبب في ذلك هو كثرة العلوم المندرجة تحته كالقراءات وأسباب النزول والإعجاز وغيرها[2].

أما عن أسباب تأخر علم التفسير هي أن الشيخ محمد الطاهر بن عاشور عندما عرض خطته لإصلاح العلوم الإسلامية وضع التفسير مقدمة العلوم التي يجب أن يشملها هذا الإصلاح فذكر أسباب تعود إلى الضعف في اللغة والبلاغة وعلم التاريخ وكذلك الولع بالتوقيف والنقل وإتقاء الغلط الذي عظموا أمره في القرآن حتى قالوا "خطؤه كفر" بالإضافة إلى الضعف في اللغة والبلاغة وقليل المبرز فيها والضعف في علوم يظنونها بعيدة عن القرآن وهي ضرورة لمعرفة عظمته العمرانية مثل التاريخ وفلسفة العمران[3]، والأديان والسياسة وخروج بعض التفاسير عن ذكر العلوم التي لها تعلق بفهم الآية[4].

ويرى الشيخ الطاهر بن عاشور أن الأسباب التي دعت الكثير من العلماء إلى إعتبار التفسير علما، أنّ مباحث التفسير تؤدي إلى إستنباط علوم كثيرة وقواعد كلية بالإضافة إلى الإشتراط، كون مسائل العلم قضايا كلية يبرهن عليهما في العلم الخاص بالعلوم المعقولة لأن

---

[1]. أحمد بن فارس، **مقاييس اللغة**، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، لبنان،ج 4، ص:405.

[2]. براهيمي طاهر، مرجع سابق، ص:40.

[3]. بلقاسم الغالي، مرجع سابق، ص ص:85،86.

[4]. مرجع نفسه، ص: 86.

هذا اشتراط ذكره الحكماء في تقسيم العلوم، أما العلوم الشرعية والأدبية فلا يشترط فيها ذلك[1].

أما فيما يخص منهج إصلاح التفسير، فقد إقترح الشيخ إبن عاشور منهجا لإصلاح التفسير فيمكن أن نبين منه المعالم التي إتبعها يقول "والذي يجدر أن يؤسس عليه اصلاح علم التفسير ويكون منحولا من التفاسير، هو أن تفسر التراكيب القرآنية جريا على تبيين معاني الكلمات القرآنية بحسب استعمال اللغة العربية، ثم ينبه شيخنا على مزالق يقع فيها المفسر وهي الإستطراد والإندفاع في أغراض ليست من مفادات تراكيب القرآن فيجعل الآيات القرآنية منافذ يخرج منها إلى أغراض دعائية أو مذهبية أو حزبية حتى تصير الآيات القرآنية بمنزلة عناوين مقالات صحفية[2]، وإذا كان التفسير كما قال الشيخ بن عاشور هو شرح مراد الله تعالى من القرآن ليفهمه من لم يصل ذوقه وإدراكه إلى فهم دقائق العربية، وليعتاد بممارسته ذلك فهم كلام العرب وأساليبهم من تلقاء نفسه واستمداد ذلك يكون باجتذاب المعاني من الدلالة اللغوية للألفاظ ومن التصرفات القولية التي وردت بها تركيبه، ومن الحس بها والإدراك للخصائص البلاغية التي تتسم بها تلك التراكيب.

ولا يتأتّى للمفسر أن يغوص على أسرار الكتاب، ويتعمق معانيه إلا من اكتمل إدراكه لنظمه البديع، فيتجه به كل اتجاه لتصور المعاملة والوقوف على إحتمالاته مهما تعددت[3]، و بالتالي نجد أن إبن عاشور كان متميزا في منهجه وفي التفسير ناقدا للتفاسير الأخرى كالطبري والرازي وغيرها مظهرا الثقافة الإسلامية عقلية تنبه الفاضلين وتوقظ النائمين وتستلهم من هدي القرآن وأثره في النفوس ما يدفع الأمة الإسلامية إلى التطور حتى يستعيد المسلمون بهدايته سيرتهم الأولى في القوة العلمية والسياسية[4]، كما دعى السلف إلى تدوين شعورهم بضعف اللغة العربية بين أكثر المسلمين بسبب كثرة الدخلاء فيها، وعلمهم بأهمية فهم الأمة للقرآن، فكتبوا ما إنتهى إليهم في ذلك عن الصحابة الذين كانوا ينشغلون بتفسير القرآن مثل علي وابن محمود... الخ[5].

---

[1]. براهيمي طاهر، مرجع سابق، ص:43.

[2]. بلقاسم الغالي، مرجع سابق، ص:86.

[3]. محمد الحبيب إبن خوجة، مرجع سابق، ص:244.

[4]. بلقاسم الغالي، مرجع سابق، ص:86.

[5]. محمد الطاهر بن عاشور، **أليس الصبح بقريب**، مصدر سابق، ص ص:160،161.

فالتفسير في معناه المختصر هو الكشف عن معاني القرآن الكريم فهو مرتبط بهذه المعاني لا ينفك عنها والقرآن الكريم في جملته كتاب هداية وتوجيه وبيان للناس وإرشاد[1]، وقد سماه الله عز وجل بيانا في قوله "**هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين**".[2]

أما خطته في تفسير السور، نجد أن إبن عاشور يتناول تفسير القرآن سورة بسورة حسب ترتيبها في مصحف الإمام، وقبل أن يشرع في تفسيرها جعل لكل سورة مقدمة يذكر فيها اسم السورة و الدورة وسبب تسميتها بهذا الاسم، ثم ترتيبها في النزول وأسباب نزولها على وجه الإجمال، أما عن نزول الآيات منها إن نزلت بسبب، فيتناوله عند تفسيرها ثم يذكر بعد آيات السورة، ثم إذا كانت السورة مكية أو مدنية وأخيرا أهم الأغراض التي تحتويها[3].

إشتهر محمد الطاهر بن عاشور بكتابه "التفسير التحرير والتنوير"[4]، وإسمه الكامل"تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" ثم إختصر هذا الاسم بـ "التحرير والتنوير من التفسير"، ولكنه اشتهر بين الناس اليوم باسم "التحرير والتنوير" أو "بتفسير ابن عاشور".

أما غرضه من كتابة التفسير هو أنه وعد أن يكون تفسيره جامعا لمصالح الدنيا والدين وأراد المؤلف أن يفسر الآيات بأسلوب جديد دون إعادة نقل ما قاله المفسرون لأنه يرى أن مجرد إعادة أقوالهم يعطل فيض القرآن، كما قال في مقدمة تفسيره "فإن الإقتصار على الحديث المعاد تعطيل لفيض القرآن الذي ماله من نفاذ[5]، إذ أن تفسيره للتحرير والتنوير تفسير بلاغي، إهتم فيه الشيخ بدقائق البلاغة في كل آية من آيات القرآن وأظهر ما فيها من إعجاز،أما طبعات تفسيره، فلقد طبع في مطبعة الدار التونسية للنشر عام 1984م في

---

[1]. مشرف بن أحمد جمعان الزهراني، **التفسير المقاصدي: تأصيل وتطبيق، في مجلة الدراسات الإسلامية**، مج 28،ع 1 ص ص 59-97، الرياض،2016-2017م، ص:56.

[2]. **القرآن الكريم**، سورة آل عمران، الآية:138.

[3]. نبيل أحمد صقر، **منهج الإمام الطاهر بن عاشور في التفسير (التحرير والتنوير)**، الدار المصرية، للنشر والتوزيع 1422 هـ/2001م، ص:43.

[4]. أنظر للملحق، رقم(4).

[5]. بلقاسم الغالي، مرجع سابق، ص:81.

ثلاثين مجلدا وهذه نسخة موجودة ومتداولة وطبع أيضا في مطبعة مؤسسة التاريخ العربي بيروت عام 1421 هـ/2000 م (طبعة أولى) في ثلاثين مجلدا[1].

أما مقدمات التفسير فيستهل الطاهر بن عاشور تفسيره بمقدمات عشرة كونها لعلوم القرآن وهي كالتالي[2]:

- المقدمة الأولى: في التفسير والتأويل.
- المقدمة الثانية: في استمداد أو علم التفسير.
- المقدمة الثالثة: في صحة التفسير بغير المأثور ومعنى تفسير الرأي.
- المقدمة الرابعة: غرض المفسر.
- المقدمة الخامسة: أسباب النزول.
- المقدمة السادسة: في القراءات.
- المقدمة السابعة: القصص القرآني.
- المقدمة الثامنة: ما يتعلق باسم القرآن وآياته.
- المقدمة التاسعة: المعاني التي تتحملها جمل القرآن.
- المقدمة العاشرة: في إعجاز القرآن.

إن العمل الذي قام به ابن عاشور في تفسيره، وفي بقية مؤلفاته وهو يتعامل مع القرآن تدبرا وتفكرا واستنباطا واستقراء هو بمثابة إستدعاء القرآن العظيم للساحة الثقافية الإسلامية وجعله المصدر الأول والأهم للمسلم المعاصر، كما كان كذلك عند السلف يرجع إليه ليستقي منه العلم والمعرفة الدقيقة السليمة في نظرته إلى الإنسان والحياة والوجود، وفي قضايا الفرد والأسرة والمجتمع والعلاقات والنظم[3].

---

[1]. هادي بخش بن محمد بخش السندي، **منهج إبن عاشور في تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب في تفسيره"التحرير والتنوير"**، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في تفسير وعلوم القرآن، قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية الدراسات الإسلامية (أصول الدين)، الجامعة الإسلامية العالمية، آباد، بكستان، 1429هـ/2008م، ص ص:13- 15.

[2]. بلقاسم الغالي، مرجع سابق، ص:76.

[3]. بدران بن لحسن، مرجع سابق، ص:28.

ب- الطاهر بن عاشور ومقاصد الشريعة:

عُرفت مقاصد الشريعة في اللغة: جمع قَصَدَ، والمَقْصَدْ: مصدر ميمي، مأخوذ من الفعل (قَصَدَ) يقال قَصَدَ وقَصْداً، فالقَصَدْ والمَقْصَدْ بمعنى واحد[1].

ويعتبر الطاهر بن عاشور هو أول من حاول تعريف المقاصد تعريفا جديا، حيث عرفها بأنها "المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع الأحوال التشريع أو معظمها بحيث لا تختص ملاحظاتها بالكون في نوع خاص من أحكام التشريع فيدخل في هذا أوصاف الشريعة وغايتها العامة...)."[2]

وقد عرّف مقاصد التشريع الخاصة بقوله "الكيفيات المقصودة للشارع لتحقيق مقاصد الناس النافعة أو حفظ مصالحهم والعامة في تصرفاتهم الخاصة كي لا يعود سعيهم في مصالحهم الخاصة بإبطال ما أسس لهم من تحصيل مصالحهم العامة إبطالا عن غفلة أو استزلال الهوى والباطل".

هذا ويمكن أن نعرّف مقاصد الشريعة "بأنها المعاني والحكم ونحوها التي راعاها الشارع في التشريع عموما وخصوصا، من أجل تحقيق مصالح العباد"، وهو تعريف جامع المقاصد العامة والمقاصد الخاصة التي قصدها الشارع الحكيم وأرادها من التشريع وهذا من خلال تعليل الأحكام الشرعية أو بناء على ما يناط بالأحكام من حكم وغايات مقصودة.[3]

أما عن مدى إهتمام إبن عاشور بمقاصد الشريعة، لا يقف عند حد تأليفه لكتابه "مقاصد الشريعة"[4]، فقط بل يتعداه إلى معظم ما كتبه الشيخ، وعلى رأس ذلك كله كتابه المشهور والمعروف بتفسير "التحرير والتنوير" الذي تميز فيه بسلوك منهج خاص وفريد في تفسير القرآن يجمع بين بيان المعاني وتراكيبها، والأحكام الفقهية المستنبطة من النصوص والكشف عن مجال إختلاف الفقهاء والمفسرين فيها.

---

[1]. محمد سعد بن أحمد بن مسعود، **مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية**، دار الهجرة للنشر والتوزيع مملكة العربية السعودية، 1998، ص:25.

[2]. بو عبد الله بن عطية، **أقسام المقاصد الشرعية المكملة**، في مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية،ع 9، ص 95-100، 2013م، ص:96.

[3]. صالح بويشيش،**التفسير المقاصدي عند الشيخ محمد الطاهر بن عاشور**، في مجلة الأحياء، ع السابع، 1424هـ 2003، ص ص: 46،47.

[4].انظر الملحق رقم(5).

وإذا كانت مصادر الشريعة الإسلامية تتمثل أساسا في القرآن الكريم، والشيخ محمد الطاهر بن عاشور سار على نفس النهج وإعتمد على القرآن كأساس ومصدر للكشف عن مقاصد الشريعة، ذلك أن العلاقة بين القرآن ومقاصد الشريعة قوية والإرتباط بينهما وثيق كون كل منهما يخدم الشريعة الإسلامية، فالقرآن مصدرها الأساسي[1]، أما الفقيه بحاجة إلى معرفة مقاصد الشريعة في هذه الأنحاء كلها، أما النحو الرابع فإحتياجاته فيه ظاهر، وهو الكفيل بداوم أحكام الشريعة الإسلامية للعصور والأجيال التي أتت بعد عصر الشارع.[2]

ج ـ الطاهر بن عاشور و الإفتاء:

كان الشيخ محمد الطاهر بن عاشور مقيدا بمذهبه المالكي،لأن الأمر الذي سمي به مفتيا ثم شيخ المالكية، ينص على إلتزامه بالإفتاء بمذهب إمامه، وذلك لأن المفتين في عصره كانوا ينقسمون إلى دائرتين: دائرة المالكية ودائرة الحنفية، وبما أن الشيخ الإمام كان مالكي المذهب، فإن فتاويه كانت معززة بأدلة المذهب المالكي، والطريقة التي توخاها الشيخ في الإفتاء هي إبراز الدليل الصحيح من المنقول والمعقول فهو يعتمد أولا على نص شرعي[3]، حيث نجد أن المتتبع لمسيرة محمد الطاهر بن عاشور في مجال الإفتاء يلاحظ أنه ما سئل عن مسألة إلا وإجتهد في البحث وكان أمينا في النقل والإجتهاد، حيث لم يكن يسعف سائله بجواب إلا بعد قتل المسألة بحثا بالنظر في مختلف ما ورد بشأنها من آراء قديما وحديثا متغيرا بأداء السابقين من أعلام الأمة وفي مقدمتهم كبار فقهاء المالكية مما مكنه من الكشف مرة أخرى عما تتميز به هذه الشريعة من مرونة وإعتدال بما لها من قدرة فائقة على مواكبة الأحداث ومن التعامل مع مختلف المستجدات[4]، حيث صار مفتيا عاما مالكيا عام 1924م، ثم كبير أهل الشورى المالكية عام 1927م، ثم شيخ الإسلام للمذهب المالكي عام 1932م[5].

---

[1]. صالح بوبشيش، مرجع سابق، ص:48.

[2]. محمد الطاهر بن عاشور، **مقاصد**، مصدر سابق، ص:20.

[3]. محمد بن إبراهيم بوزغيبة، **فتاوى الشيخ الإمام محمد الطاهر بن عاشور**، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي مراجعة قسم الدراسات والنشر بالمركز، 1425 هـ/2004 م، ص:20.

[4]. الصادق بن ساسي كرشيد، مرجع سابق، ص:237.

[5]. محمد بن سعد بن عبد الله القرني، مرجع سابق، ص:28.

كما أنه كان يقيد فتواه بقواعد بلاغية ونحوية مثل فتاوى التفسير[1]، وكان يعود إلى كتب الحديث وشروحها في فتاوى تأويل الحديث ولا يكتفي في فتواه بمجرد الإخبار بحكم في المسألة المستفتى فيها، بل كان كثيرا ما يقدم تقريرا طويلا، ويأتي على المسألة من كامل أطرافها عندما يطلب منه المستفتي إيضاحا وإرشادا، ويظهر ذلك في فتاوى العقيدة بالخصوص لأن مسائل الحلال والحرام تشغل بال المسلمين قديما وحديثا، وكان الشيخ الطاهر بن عاشور ملتزما بمذهب إمامه مكثرا من الرجوع إلى الكتب المعتمدة فيه في فتاوى العبادات، وكان ينادي بعدم جواز الخروج عن المذهب الذي يقلده المستفتي مستشهدا بما قاله أساتذة الأصول مثل الشاطبي والغزالي[2].

حيث إستطاع إبن عاشور بما بذله من جهود وما جبل عليه من جرأة في قول الحق والتصدي للمنكر، ودرء للعديد من المفاسد وجلب الكثير من المصالح، وهو ما مكنه من تحقيق مزيد من الإشعاع وكسب أعداد هائلة من الأنصار لتوجهاته داخل تونس وخارجها دون أن يؤدي به ذلك إلى الإعتزاز برأيه وغلق قنوات الحوار مع معارضيه[3]، وكان له مواقف من ثلاثة قضايا كانت قد أثارت جدلا في الأوساط العلمية والشعبية تتمثل في الموقف الأول وهو تأييده للفتوى الترانسفالية[4]، وأخذت هذه الفتوى تتدرج حتى سميت فتوى الموقوذة ومفتولة العنق، وقد أفتى فيها من قبل "محمد عبده" وتدور محور هذه الفتوى على محورين الأول:إباحة أكل الذبائح أهل الكتاب وإن لم تتوفر فيها شروط الذبح عند المسلمين أما المحور الثاني من الفتوى الترنسفالية فهو قائم على إباحة لبس القلنسوة فقد قال عنها "أما مسألة القلنسوة فحسبهم من حيث القلب أن الفقهاء ما قالوا أن ليس أي شيء من ثياب الكفار موجبا للرد إلا لباس الدين، ثم يختم الإجابة عن الإستفتاء الأول بقوله "كلا إن الدين

---

[1]. أنظر الملحق الصور رقم(6)، ص68.

[2]. محمد بن إبراهيم بوزغيبة، مرجع سابق، ص:20.

[3]. الصادق بن ساسي كرشيد، مرجع سابق، ص:237.

[4]. الفتوى الترنسفالية من أشهر الفتاوى التي تجلت فيها قيمة الشيخ محمد عبده وسميت بذلك لأن المستفتي كان من بلاد الترنسفال بجنوب إفريقيا وهي بلاد يكثر فيها إختلاط المسلمين بالنصارى لمزيد انظر: بلقاسم الغالي، مرجع سابق، ص: 132.

لأكبر من الإتمام بما يهتم له الماشطات وسخفاء المزينين"[1]، فأرسل محمد الطاهر بن عاشور لمحمد عبده رسالة يؤيده فيها.

يقول "المنصف الشنوفي" في أصداء هذه الفتوى "ولقد إغتنم الخديوي عباس حلمي[2]، هذه الفرصة للتشييع على الإمام ونهضت لذلك الصحافة المصرية المناوئة للمصلح المصري كاللواء والظاهر وشدت أزر "محمدعبده" جريدة الأهرام والمنار والمقطم"[3].

أما الموقف الثاني من فتوى التجنيس وهي دسيسة إستعمارية لإفقاد البلاد هويتها تمهيدا لسلخها عن دينها، وهو أسلوب خبيث إستعملته فرنسا في بلاد تونس الإسلامية ومعنى التجنيس هو إنسلاخ من الجنس الذي ينتمي إليه الإنسان بحسب مولده ونشأته ودينه ونظام دولته، ثم إعتناق جنس آخر يختلف عنه تماما من الناحية الدينية والإنصهار فيه كليا، والعمل على حمايته والمحافظة عليه، ولقد قوبل هذا القانون بالرفض من الشعب التونسي، ولعل الذي يتزعم الحملة ضد القانون هو حزب الدستور الحر[4].

أما الموقف الثالث فكان يخص فتوى قراءة القرآن عند تشييع الجنازة وحول الميت وحول قبره، حيث أن هذا الجزء من الفتوى كان محل إتفاق بين الشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ ابن عاشور الذي عمل على توضيحهها وأضاف شرحا أدى به إلى الإستنتاج بقوله "وحينئذ فتكون قراءة القرآن في تلك المواطن المكروهة، وإما مباحة غير سنة فتكون مندوبة في جميعها، وإما مندوبة في بعضها دون بعض"، وإعتبر ابن باديس أن هذا الإستنتاج لا دليل عليه، وعده مقاومة للسنة وتأييد لبدعة قراءة القرآن على الميت ويختم ابن عاشور فتواه بقوله "وعليه فكل من يتصدى لمنع أقارب الأموات من تشييع جنائزهم بالقراءة، فقد أنكر عليهم بغير علم واجترا عليهم بالتدخل بدون سبب يحق له فإن هم تجاوزوا ذلك فحق على "ولاة الأمور" في البلدان أن يدفعوا عن أهل المآتم عادية من يتصدى بزعمه لتغيير المنكر دون أن يعلم"[5].

---

[1]. بلقاسم الغالي، مرجع سابق، ص:134.

[2] .عباس حلمي الثاني بن توفيق الخديوي من أسرة محمد علي توفي1363ه/1944م.. لمزيد أنظر: خير الدين الزركلي، مرجع سابق، ص:33.

[3]. جمال أبو حسان، مرجع سابق، ص:63.

[4]. جمال أبو حسان، مرجع سابق، ص:66.

[5].بلقاسم الغالي، مرجع سابق، ص ص: 136 -137.

ثانيا- الإصلاح الإجتماعي:

أ- المبادئ العامة لتأسيس المجتمع الإسلامي:

قدم الشيخ "محمد الطاهر بن عاشور" مجموعة من المبادئ التي يجب مراعاتها في تأسيس نظام المجتمع الإسلامي وهي:إصلاح الفرد والجماعة، حيث أن إصلاح الفرد يقتضي تهذيب النفس وتزكيتها وعلى رأس ذلك الإعتقاد[1]، فإصلاح الفرد ضرورة للإنسان لتحصيل العلم بما يجب لسلوكه، حتى يسلم من الوقوع في الأخطاء، ويعتبر إصلاح الفرد والجماعة من أهم مقاصد الشريعة الإسلامية، حيث يرى "ابن عاشور" أن إصلاح الجماعة هو الغرض الأسمى وهو المقصد الذي يعتز به الإسلام، لذلك وجب الإنتساب لجامعة جد متسعة وكبيرة تسمى بالجامعة الدينية الإسلامية التي تفوق أهمية وقوة لكل من سبقها[2]، حيث يقول الشيخ ابن عاشور "إن المجتمع البشري أو الأمة عبارة عن مجموعة من الناس هي كل ملتئم من أجزاء هي الأفراد، فلا جرم أنه كان إصلاح المجتمع متوقفا في بادئ الأمر على إصلاح الأفراد، فإذا صلحت حصل من مجموعتها الصالحة مجتمع يسوده الأمن "فإصلاح الأفراد حجر الأساس لإصلاح المجتمع كما بين ذلك "محمد الطاهر بن عاشور"[3].

أما الإصلاح الجماعي فيحصل بالصلاح الفردي فيرى أولا أن الأفراد جزء من المجتمع ولا يصلح الكل إلا بصلاح أجزائه، غير أن هذا لا يتم وحده على المستوى الفردي بل يحصل الصلاح الجماعي من خلال ضبط تصرف الناس بعضهم ببعض وهذا هو علم المعاملات[4]، بالإضافة إلى مبدأ "الفطرة" حيث عرّفها الشيخ إعتمادا على المفسرين كزمخشري وابن عطية، ورأوا أن المراد بها مجموعة الشرائع الإسلامية[5].

وتطلق الفطرة على قابلية الخلق للتوحيد ودين الإسلام، بجميع أصوله وقواعده ليتفجر جميعه من ينبوع الفطرة، ولابد أيضا من وصف دين الإسلام بدين "الفطرة الإنسانية"، لأن الله جلت حكمته ساوى فيه بين الوصفين: الحكمة والفطرة، فهو أراد أن يجعله دينا عاما لكل البشر، ووصف الفطرة، هذا هو ما اختص به الدين الإسلامي دون سائر الأديان ولا يعني

---

[1]. بدران بن لحسن، مرجع سابق، ص ص: 29،30.

[2]. بلقاسم الغالي، مرجع سابق، ص:671.

[3]. محمد الحبيب ابن خوجة، مرجع سابق، ص:164.

[4]. بدران بن لحسن، مرجع سابق، ص:40.

[5]. بلقاسم الغالي، مرجع سابق، ص:161.

وصف الإسلام بالفطرة الظاهرية الجسدية، وإنما هي فطرة الباطنية العقلية لما يقوم به الإسلام من عقائد وتشريعات، كلها عقلية"[1].

ومن المبادئ كذلك لتأسيس المجتمع هو السماحة، بسهولة المعاملة فيما إعتاد الناس فيه المشاغل فدلت السماحة على خلق الجود، فالسماحة من أكبر صفات الإسلام الكائنة وسطا بين طرفي لا إفراط ولا تفريط، فرجع معنى السماحة إلى التسيير المعتدل وهي معنى اليسير الموصوف به في الإسلام، كما أن للسماحة أثر في سرعة إنتشار الشريعة وطول دوامها إذا بين لنا التاريخ أن سرعة الإمتثال الأسمى للشرائع ودوامهم على أتباعها، كان على مقدار إقتراب الأديان من السماحة[2]، ولإعتبارها أول أوصاف الشريعة وأكبر مقاصدها برفع الحرج عن الفرد والجماعة، ذلك حين يعرض لهم من العوارض الزمنية أو الحالية ما تصير به من تكاليف[3].

أما إصلاح التفكير فيرى ابن عاشور أن إصلاح التفكير من أهم ما قصدته الشريعة الإسلامية في إقامة نظام الإجتماع عن طريق صلاح الإفراد، لهذا تفهم وجه إهتمام القرآن بإستدعاء العقول للنظر والعلم، فكل فرد مأمور بصفة التفكير في دائرة ما يحتاجه من الأعمال تفكيرا يعصمه من الوقوع في الأخطاء فيما يصدر عنه من الأعمال على إختلافها[4].

هكذا يبرز الشيخ تضامن المجتمع الإسلامي وإنسجام أفراده على مستوى تفكيره وهو مقصد هام من مقاصد الشريعة في تنظيم المجتمع أين لا يوجد أعظم من إصلاح التفكير فإذا صلح حسن حال الفرد والمجتمع على السواء، أما صلاح العمل يكون بطلب الاستقامة وله ارتباط وثيق بصحة العقيدة وسلامة التفكير، ولإجتياح هذه الجوانب الثلاثة من الإصلاح إلى بيان ما يحرسها[5]، ودعوته إلى الحث على اكتساب العلم، ومن العوامل التي تعين على صلاح العمل وحسن تسييره هو النظام، والتوقيت والدوام والمبادرة والإتفاق، حيث صحح الشيخ ابن عاشور المفاهيم الخاطئة التي علقت بديننا الإسلامي كمفهوم التوكل ومفهوم

---

[1]. محمد الحبيب ابن خوجة، مرجع سابق، ص ص: 682-683.

[2]. محمد الطاهر بن عاشور، **أصول**، مصدر سابق، ص:27.

[3]. محمد الحبيب ابن خوجة، مرجع سابق، ص:275.

[4]. بلقاسم الغالي، مرجع سابق، ص:166.

[5]. محمد الحبيب ابن خوجة، مرجع سابق، ص ص،677،678

القضاء والقدر[1]، كما أشار إلى ضرورة إيجاد الوازع النفساني، وبين آثاره في الإصلاح الفردي والإجتماعي.

ومن المبادئ كذلك لتأسيس المجتمع الإسلامي هو الإعتدال أو التوسط، حيث إعتبر بن عاشور أن قوام الصفات الفاضلة والفطرة السليمة هو الإعتدال في الأمور وأن النزوع إلى طرفي الغلو والتقصير أو الإفراط والتفريط، إنما ينشأ عن انحراف في الفطرة يحدو إلى الهوى المحذر فيه، فالغلو في الغالب يبتكره قادة الناس، ذوو النفوس الطامحة إلى السيادة أو القيادة، حيث ورد في الحديث الشريف لقوله عليه الصلاة والسلام "خير الأمور أوسطها".[2]

ب- الدعوة إلى إيجاد الجامعة الإسلامية:

انطلق الطاهر بن عاشور من منطلق أن الإسلام جعل جامعة الدين هي الجامعة الحق للمسلمين، وعد من عداها من الجوامع كنظام العائلة ونظام القبيلة وغيرها من الجوامع الفرعية تعتبر صالحة ما لم تهدم الجامعة الكبرى، خاصة وأن الجامعة الدينية ترجع إلى جانب العقلي المحض وهو الجانب الأقوى الذي يتميز به الإنسان، لذلك جعل الإسلام رابطة دينه الحق رابطة مقدسة تصغر أمامها الروابط كلها، ودعا الناس لإتباعه ليكونوا أمة واحدة تجمعها وحدة الإعتقاد والتفكير والعمل الصالح وأمر بدحض بقية الجوامع إذا كانت مضادة لهذه الجامعة[3]، وكانت هذه الجوامع هي ملجأ المظلوم، فلذلك كان أصحابها بحاجة إلى إقامة زعماء بكل جامعة منها يكونون المديرين لأحوالها والمسيرين لسيرتها.

وهذه الجامعة لا تعادلها جامعة أخرى لأن جوامع الأنساب والمواطن، جوامع إصطلاحية قاصرة خاصة وأنها لا تحل محلها جامعة بشرية بإعتبارها جامعة واسعة جدا لا يلتئم تحتها البشر، لأنهم يختلفون في عقائدئهم وأعمالهم فلا يرجى للملتفين تحت كلمتها الإتفاق، ولأنها أيضا جامعة مادية عائدة إلى شيء مادي وهو جنس البشر ولما كانت هذه الجامعة جامعة فطرية لم يكن من شأن الناس أن يختلفوا فيها وكانت خليقة بأن تكون سببا لاجتماع لا سببا للتفريق، وأصبحت الجوامع الأخرى بالنسبة إليها جوامع فرعية يقتصر

[1]. بلقاسم الغالي، مرجع سابق، ص:166.

[2]. محمد الطاهر بن عاشور، **أصول**، مصدر سابق، ص:23.

[3]. بلقاسم الغالي، مرجع سابق، ص:169.

عملها على أن تيسر لأصحابها التعارف، والدعوة إلى الإنضمام إلى الجامعة الكبرى[1]، وقد تعمق شيخ الإسلام في دراسة الجوامع التي تجمع بين البشر ونقد جميع الأواصر التي تجنبها البشر منذ زمن بعيد إلى وقت ظهور الإسلام، كما اعتبر محمد الطاهر بن عاشور أن المجتمع الإسلامي أساسه الأخوة[2].

ولما كان إيجاد الجامعة الإسلامية حدثا جديدا في تاريخ الجامعة البشرية كونه لم يكن مألوف للعرب ولا لغيرهم، ومرتكزا على أصل نفساني محض يخفي وجوده ولا يمكن مشاهدته كان بحاجة إلى تأييده وتقريره في النفوس[3]، كما أنّ الأخوة الإسلامية وهي التي تمثل الدعم الروحي والتأييد النفسي لأفراد تلك الجامعة الدينية، وما الأخوة الإسلامية إلا رابطة وثيقة بين المسلمين، حيث يقول محمد الطاهر بن عاشور: " فلم يحفظ التاريخ لدين ولا لدولة ولا لدعوة استطاع واحد منها أن يضم إليه مختلف الأمم ويجعلهم أمة واحدة لا يرى بعضهم خارقا بينهم مثل ما للإسلام من ذلك"[4]، فقد كان المجتمع الإسلامي يومئذ مظهر ذلك الصلاح في أبهى مظاهره وأصبح هذا المجتمع عبارة عن مركب مكتمل لشروط المجتمع الصالح بالنظر لصلاح أفراده وأجزائه.

وقد رتب الإسلام على هذه الأخوة آثار الأخوين في المعاملة لقوله تعالى "**إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم**"[5]، حيث أصبحت الأخوة وثيقة بين المسلمين أينما كانوا من الأقطار وقد بطلت بها عصبيات ثلاث كانت من أسباب الجمع والتفريق في العرب وهي "النسب، والحلف والوطن" بهذه القاعدة تسنى للمسلمين التعارف والتواصل والإتحاد على إختلاف الأمم الداخلة في الإسلام فلم يحفظ التاريخ لدين ولا دولة ولا لدعوة استطاع واحد منها أن يضم إليه مختلف الأمم ويجعلهم أمة واحدة لا يرى بعضهم فارقا بينهم مثل ما للإسلام من ذلك.[6]

---

[1]. محمد الطاهر بن عاشور، **أصول**، مصدر سابق، ص:108.

[2]. بلقاسم الغالي، مرجع سابق، ص:170.

[3]. بلقاسم الغالي، مرجع سابق، ص:115.

[4]. محمد بن الحبيب بن خوجة، مرجع سابق، ص:672.

[5]. **القرآن الكريم**، الحجرات، الآية:10.

[6]. محمد الطاهر بن عاشور، **أصول**، مصدر سابق، ص ص:118ـ119.

ولما كان الإسلام ثابتا على أعراق الفطرة كانت جامعته فطرية مقبولة في النفوس سهلة التسرب إلى القلوب النيرة لأن مبناها على سهولة الحق ووضوحه وبساطته وذلك المبدأ هو إثبات الإله وتوحيده وإثبات الرسالة عن الله إلى الخلق وإثباتها لمحمد صلى الله عليه وسلم ثم السعي لتزكية النفس بالإقبال على صالح الأعمال الحسنة في فطرة العقول المعبر عنها باسم الجامع وهو اسم معروف والترفع بالنفس إلى أوج الكمال.[1]

ج- تعليم المرأة:

حيث عالج الشيخ محمد الطاهر بن عاشور مكانة المرأة في النظام الإجتماعي وخاصة قضية التعليم، فكانت دعوته إلى تعليم المرأة كما أقره الدين لا كما أقرته أوربا و ذلك تفاديا لتفكك المجتمع وروابط الوحدة الوطنية والإسلامية خاصة أن هاجس أوروبا ظل حاضرا بقوة في النقاشات المتعلقة بالمرأة وظلت رؤى الإصلاحيين الزيتونيين تعكس رؤيا مجتمعية محافظة تقر بأهمية تعليم المرأة وإصلاح وضعها، لكن يبقى ذلك ضمن السياق العربي الإسلامي[2]، خاصة وأن الإسلام قد أعلن حقوق المرأة في قوله تعالى: "**ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف**"[3]، كما جمع في الأقوال التشريعية بين الرجال والنساء حيث يدعم الشيخ الطاهر بن عاشور رأيه بالنصوص والأحكام الشرعية التي توضح فيها رفع شأن المرأة.[4]

ولهذا فإن العلم الذي طالبت به المرأة تجري برامجه على مثل ما جرت عليه مراعاة التشريع لهن فمعظم البرامج تتساوى مع برامج تعليم الرجال وتختص المرأة بتعليم ما يتفق من معاني فطرتها ما لم يكن مثله الرجال[5].

لقد كانت الأمم التي دخلت في الإسلام مقتصرة في العناية بالتعليم على صنف الذكور دون الإناث من حيث وجود حالة سائدة في معظم الأمم هي حالة إقتصار المرأة من تلقاء نفسها على تدبير شؤون المنزل وتربية الأبناء فإقتنعت النساء من تلقي نظام الحياة من

---

[1]. مصدر نفسه، ص:110.

[2]. رفيقة عطية بوملاسة، **تعليم المرأة في مرحلة التحرر الوطني**، الفكر والسياسة في مجلة الحوار المتوسطي، ص ص: 122-139، مارس2017م، ص:130.

[3]. **القرآن الكريم**، سورة البقرة، الآية:288.

[4]. بلقاسم الغالي، مرجع سابق، ص:167.

[5]. محمد الطاهر بن عاشور، **أصول**، .مصدر سابق، ص:100.

أمهاتهن وكبيراتهن بتلقي واجبات الديانة من آبائهن وإخوانهن، ثم من أزواجهن على تفاوت في كلا الصنفين وشواهد التاريخ دلت على أنه لم يوجد في تاريخ البشر قبل القرن الثالث عشر هجري، أمة حاولت إلحاق المرأة بالرجل في المعارف، ولا قبل القرن الرابع عشر إلحاقها بتكاليف إجتماعية فكان تعليم النساء لايتجاوز به تلقينهن القرآن وفقه العبادات وغيرها من أنواع الآداب والأخلاق والكتابة[1]، لذلك فإن الشيخ ابن عاشور يرى أن من حق المرأة المسلمة التمتع بحق التعليم، وأنّ لا فرق بينها وبين الرجل في ممارسة هذا الحق، إلا في جزيئات خاصة لا تغير من الأمر شيئا، لأن بقاء المرأة منحطة الفكر وغارقة في الجهل، يسلب منها الأهلية لتربية أولادها تربية كاملة، ويسلب الأمة الإنتفاع بإسهامها في النهضة، ولاسيما وهي نصف المجتمع، ولم تكن دعوة ابن عاشور إلى منح المرأة حق التعليم في الربع الأول من القرن الماضي مجرد فكرة عابرة، وإنما كانت أصلا من أصول برنامجه الإصلاحي للتعليم الزيتوني، ولذلك تولى مشيخة الجامع الأعظم وفروعه سنة 1945م حيث بادر بتمكين البنت المسلمة من التعليم في الزيتونة، ففتح سنة 1949م فرعا زيتونيا خاصا بالفتيات تسمى بـ مدرسة السيدة "عجولة" وإستمر في عمله إلى صدور قرار إغلاق جامع الزيتونة سنة 1958م[2].

لكن مقاومة الإستعمار ومحاولة إختراق البيئة التقليدية للمحافظة على المجتمع واجهت مقاومة مدنية عملت على إنزال ما وصلت إليه أفكار الإصلاحيين المتعلقة بالإصلاح الديني وبالتعليم على الواقع، والخروج من ذاكرة القول إلى دائرة الفعل مستفيدة من إنتعاش حركة التحرر الوطني في جل ميادينها السياسية والنقابية والثقافية، والتي شهدتها تونس أواخر عشرينات القرن العشرين إلى مطلع الخمسينات من نفس القرن.[3]

---

[1]. محمد الطاهر بن عاشور، **أليس**، مصدر سابق، ص:53.

[2]. فتحي حسن ملكاوي، **الشيخ محمد الطاهر بن عاشور وقضايا والإصلاح والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر (رؤية معرفية ومنهجية)**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، ولايات المتحدة الأمريكية، 1432 هـ/2011 م، ص:76.

[3] رفيعة عطية بوملاسة، مرجع سابق، ص:130.

الفصل الثالث:

محمد الطاهر بن عاشور ودوره في إصلاح التعليم بجامع الزيتونة

أولا- التعليم بجامع الزيتونة قبل مجيء الطاهر بن عاشور:

أ- التعريف بجامع الزيتونة:

إنّ جامع الزيتونة[1] ثاني الجوامع التي رفعت بإفريقية لإعلاء كلمة الله بعد جامع عقبة بن نافع بالقيروان، أما عن تأسيسه فقد إختلف المؤرخون في ذلك، حيث نسب الكثير منهم جامع الزيتونة إلى "عبد الله بن الحبحاب" الذي سماه هشام بن عبد الملك الأموي والياعلى إفريقية" في سنة 110هـ(728-729 م) وقيل سنة 116 هـ(734 م)[2].

وذهب آخرون إلى أنّ إنتسابه إلى "حسان بن نعمان"[3]، الذي فتح تونس في حدود 9 هـ/698م، وعرف صدور قانون التعليم 1251هـ، بنقل الخزائن والكتب أدخلت عليه إصلاحات جديدة، وكان للجامع فروع عديدة تابعة له مثل جامع اليوسفي، الحفصي المرادي، وصاحب الطابع وملاحق داخلية تابعة بموجب مرسوم 16 جويلية 1913م بسوسة، صفاقس، القيروان... الخ[4].

ويعتبر جامع الزيتونة المعمور من أعرق المعالم في المغرب الإسلامي ومعقلا من معاقل العروبة والإسلام في الربوع الإفريقية،[5] فهو من أحسن الجوامع وأتقنها وأكثرها إشراقا فيه دائرة سقف ووسطه فضاء قد نصبت فيه أعمدة من خشب على قدر إرتفاع الجدار وشدت إليها حبال متينة في حلق حديدة مثبتة فيها وفي السقوف شدا محكما[6]، ولم يكن الفن المعماري وجماليته الإستثناء الوحيد الذي تمتع به جامع الزيتونة، بل برز دوره الحضاري والعلمي الريادي

---

[1]. أنظر الملحق الصور رقم(9)، ص72.

[2]. محمد العزيز ابن عاشور، **جامع الزيتونة المعلم ورجاله**، (د.ط)، دار سراس للنشر، شارع عبد الرحمان عزام تونس (د.س)، ص: 10.

[3]. حسان بن نعمان الغساني، قائد أموي لعب دورا حاسما في دعم غزو إفريقية بإحلال قرطاج وتغلب في نهاية على الكاهنة وتسجل حملات الدعم للغزو العربي، ويعود إليه الفضل في تأسيس دار الصناعة بتونس وإعادة بناء الجامع الكبير بالقيروان بمواد أمتن...لمزيد أنظر: محمد الطالبي، مرجع سابق، ص:51

[4]. محمد بوطيبي، **التعليم في جامع الزيتونة خلال النصف الأول من القرن العشرين (دراسة في المنهج برنامج)** مجلة المغاربية للمخطوطات، ع5، جوان 2017، جامعة يحي فارس، المدية، ص: 196.

[5]. مجموعة من الباحثين، **تاريخ الأدب التونسي الحديث والمعاصر**، بحوث ودراسات أدب،(د.ط)، بيت الحكمة تونس 1993، ص ص:10،11.

[6]. حسن حسني عبد الوهاب، **خلاصة تاريخ تونس**، ط3، دار الكتاب العربية الشرقية، تونس،(د.س)، ص:113.

في العالم العربي والإسلامي وقد لعب كذلك دورا طليعا في نشر الثقافة العربية الإسلامية في بلاد المغرب.[1]

وقد عرف الجامع باسم الزيتونة استناد لما ذكر في سورة النور لقوله تعالى«۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۗ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ٣٥»[2].

وهذا خير دليل بأن اختيار المسلمين جاء تبركا بشجرة الزيتون لما فيها من منافع ولجامع الزيتونة مكانة كبيرة، فلقد أشاد "الشيخ البشير الإبراهيمي" بمكانة جامع الزيتونة بالرغم من أنه درس بالمدينة المنورة، وقد أقر بالعلاقة الروحية والعضوية بين الزيتونة ومعهد ابن باديس بقسنطينة، وكان يردد دائما "أنا لم أتخرج من الزيتونة، ولم أقرأ في الجامع حرفا ولكنني تخرجت بالمدينة المنورة على أضواء كواكب الزيتونة في وقته"[3].

وكانت جامعة الزيتونة وغيرها من الكتاتيب والزوايا تستقطب الكثير من التلاميذ الذين يتلقون الثقافة العربية على الطريقة القديمة إلى جانب مدرسة حديثة كبرى يتلقى فيها طلاب العلوم العصرية واللغات الأجنبية وهي المدرسة الصادقية[4].

ب ـ التعليم في جامع الزيتونة:

أسس جامع الزيتونة على أن يكون محل للعبادة، ولما كان المسلمون في العصور السابقة يقومون في الجوامع بكل ما يهمهم من الشؤون التي لا تتنافى مع مايجب لبيوت الله من إحترام فقد صار جامع الزيتونة محلا للتعليم، فيه الدروس العلمية على إختلاف

---

[1]. محمد الماجدي، **بيوت المتقين**، قسم الشؤون الدينية،ع 44،العتبة العلوية المقدسة، لشهر شعبان المعظم سنة 1438هـ ص: 12.

[2]. **القرآن الكريم**، سورة النور، الآية:35.

[3]. محمد البشير الابراهيمي، **أشيخ الاسلام هو أم شيخ المسلمين؟**، جريدة البصائر،ع 20الجمعة 1 ربيع الاول 1335هـ الموافق ل 22 ماي 1936م، ص:3.

[4]. الحبيب تامر، **هذه تونس**، (د.ط)، مطبعة الرسالة، تونس، مكتبة المغرب العربي، (د.س)، ص:59.

مواضيعها وأنواعها، والظاهر أن الدروس صارت تلقى فيه منذ القرن الثالث، ثم أخذت تنتظم شيئا فشيئا إلى غاية إبتداء الدولة الحفصية سنة 603 هـ، عند ذلك إزدهر التعليم بجامع الزيتونة وكثر انتشاره وظهرت مختلف العلوم والفنون وظهرت تآليف كثيرة واعتنى الناس بالدروس العليا حتى برعوا فيها[1]، فقد اشتهر جامع الزيتونة منذ القديم بدوره في بث العلوم الإسلامية، لكنه لم يشكل بذلك خصوصا قبل دولة أحمد باشا باي الحسني حيث كانت الدروس تلقى وتلقن بالجوامع والمساجد في الزوايا وحتى في بيوت العلماء.

أما عن طريقة تلقيّ الدروس فقد كان ذلك إما بإقتراح من الشيخ ورغبة منه في تدريس كتاب معين أو بطلب من تلامذته، فكان الشيخ لا يتأخر عن قبول إقتراحهم، وإذا ما بدأ في تدريس الكتاب لا ينتقل منه لغيره إلا بعد ختمه وربما يستغرق ذلك لسنوات[2].

أما فيما يخص البرامج والمناهج الدراسية في جامع الزيتونة فقد كانت تمر على مراحل تعليمية ثلاث وهي:

– البرنامج التعليمي في المرحلة الأولى: يشتمل على تدريس عناوين في شتى التخصصات وهي القراءات والتجويد، شرح القاضي على الجزرية لشمس الدين الجزري.

– البرنامج التعليمي في المرحلة المتوسطة: فإن التلميذ عندما يرتقي من المرحلة الأولى إلى المتوسطة يتوسع في فنون الدراسة، ذلك التعليم التقليدي في جوهره والذي لا يساير التطور الزمني، والكتب التي تدرس في مرحلة المتوسطة هي:

– الحديث: شرح الشبرخيتي على الأربعين النووية، شرح القاني عليها الشمائل بشرح الهناوي أو شرح الباجوري، السير، الهمزية بشرح جمل.

– التوحيد: الوسطى للشيخ السنوسي، وسيدي عبد السلام علي الجوهرة، شرح ابن أبي الشريف على مسايرة ابن الهمام وغيرها من العلوم، فمن خلال العناوين السابقة يتبين كثرة المعارف التي كانت تقدم لطلبة المرحلة المتوسطة والمتمثلة أساسا في العلوم الدينية والإنسانية بينما المنهج التجريبي العلمي كان غائبا تماما في جامع الزيتونة، كما كان يستفيض الطالب من بعض المآخذ التي تحصل عليها في المرحلة الأولى، أما الجانب

---

[1]. محمد المختار بن محمود، **جامع الزيتونة من أقدم الكليات العلمية في العالم وأكثرها إنتاجا**، المجلة الزيتونية، المطبعة التونسية، مج 2، ع 57، ديسمبر 1937، ج2 ص:3 .

[2]. محمد العزيز ابن عاشور، المرجع السابق، ص ص: 85،86.

المنهجي فالظاهر أنه كان يعتمد على الحفظ والتلقين وعدم مراعاته الفروق بين الطلبة وكيفية التدرج[1].

– مرحلة التعليم العالي وهي المرحلة الأخيرة:حيث يذكر الشيخ محمد الطاهر بن عاشور بصفته مدرسا بجامع الزيتونة، أن الطالب بعد حصوله على شهادة "التطويع" يطلب منه قراءة كتب المرحلة الابتدائية ويتدرج بقراءة كتب المرحلة العالية وعلومها من التفسير والحديث وأصول الفقه والبلاغة والنحو والكلام والأدب، وليست بالضرورة التعامل مع هذه المراجع بل يكتفي بما يستدعيه منه الواجب التعليمي، خاصة في التفسير والحديث[2].

وكانت جامعة الزيتونة وغيرها من الكتاتيب والزوايا تستقطب الكثير من التلاميذ الذين يتلقون الثقافة العربية القديمة إلى جانب المدرسة الحديثة الكبرى يتلقى فيها طلاب العلوم العصرية واللغات الأجنبية[3]، فبلغ عدد تلامذته الى ثلاثة الآلاف طالب ويتم ترسيم التلميذ للتعليم بالزيتونة على مراحل تتمثل إجراءات حتمية إدارية: من حيث اختياره دروسا بحسب ما يبلغه، مما يتناقله أهل الجامع من معلومات من الفنون اللازم قراءتها على الشيوخ وهي المواد الأساسية لهذه المرحلة من التجويد والتوحيد والفقه والنحو، والشروع في حضور تلك الدروس والإستمرار على ذلك أياما حتى يحصل التعرف على الشيوخ الذين يزاول عليهم الدراسة، بالإضافة إلى إقتنائه دفتر الدروس[4]، وهو عبارة عن سجل، يشتمل على مائة صفحة يحتوي ثلاثة جداول يسجل في الأول منه إسم الكتاب، وفي الثاني الشيخ المدرس يضع بخطة، وفي الثالث موضع شهادة الشيخ للتلميذ بما حضره من دروس الكتاب المقرر إلى تاريخ تسجيل تلك الشهادة[5].

---

[1]. محمد بوطيبي، مرجع السابق، ص ص: 198،199.

[2]. نفسه، ص:200.

[3]. الحبيب تامر، مرجع السابق، ص:59.

[4]. انظر ملحق رقم(7).

[5]. محمد الحبيب بن خوجة، مرجع السابق، ص ص:200،201.

ج- المحاولات الإصلاحية للتعليم:

1-إصلاحات المشير أحمد باي (1837-1855م):

حاول المشير أحمد باي تنظيم التعليم الزيتوني بإصداره منشوره الشهير في نوفمبر 1842م الموافق لـ 27 رمضان 1258 هـ، وأمر بتعليقه قرب "باب الشفاء" بجامع الزيتونة وسمي بـ "المعلقة"، خصص فيها للمشايخ جرايات كافية وعين لكل واحد منهم أن يقرئ درسين في اليوم[1]، وتعيين هيئة من العلماء هي النظارة العلمية المتكونة من شيخ الإسلام وباش مفتي المالكية ومن القاضيين الحنفي والمالكي لمراقبة سير الدراسة والإشراف عليها وضبط أمر ترتيب تدريس العلوم بالجامع، وحفظ المكتبة، والمحاسبة على مالية التعليم[2]، وقد كان الباي يزور بنفسه تلاميذه ويرغبهم في إكتساب المعارف التي هي آلة التقدم الحقيقي وقد أثر أحمد باي في حياة البلاد الفكرية، إذ كان يحب العلم ويشجع طلبته، ويعظم العلماء ويعرف منازلهم، وكان ولوعا خاصة بفن التاريخ وبالأخص مقدمة ابن خلدون مع جعل الكثير من الأدباء يهتمون بهذا الفن وينشطون للكتابة التاريخية ومن أبرز إسهاماته التي قام بها هو افتتاح مدرسة "باردو" العربية يوم 5 مارس 1840م، وهي مدرسة عصرية جلب لها الباي جماعة من الأساتذة الأجانب من إيطاليا وفرنسا وإنجلترا وأدخل فيها العلوم العصرية والكونية من الرياضيات وطبيعيات ومختلف الفنون الحربية واللغات كالفرنسية والإيطالية[3] وولى فيها تدريس العربية ومن ذلك خزانة كتب الشيخ إبراهيم الرياحي[4].

كما أنه قام بتأسيس مكتبة الأحمدية التي تحتوي على فهرس المخطوطات، جزء به الأدب، اللغة، البيان، العروض، النحو، الصرف، التاريخ، التراجم، والمناقب، أما المواد الباقية فهي منطق الكلام، آداب البحث، الوعظ والتصوف، أصول الفقه... الخ، وهذه المواد

---

[1]. بلقاسم الغالي، مرجع السابق، ص ص: 184،185.

[2]. حبيب بن خوجة، مرجع السابق، ص: 170.

[3]. أحمد الطويلي، **رسالة المناعي إلى المشير الأول أحمد باي في الشكوى من أحمد بن أبي ضياف وسائر الأعداء**، دار التونسية للنشر، تونس، ديسمبر 1977، ص ص: 16،17.

[4].هو الشيخ إبراهيم بن عبد القادر بن أحمد الريحاني، من مواليد 1180 هـ/1767 م كان يسكن بمدرسة حوانيت عاشور أو المدرسة العاشورية)، كان من متتبعي الطريقة التيجانية، ومن آثاره المخطوطة والمطبوعة منها: مجموعة خطب جمعية، مجموعة فتاوى في مسائل فقهية متعددة توفي في 7 أوت 1850، ودفن بزاويته... لمزيد أنظر محمد العلاوي، **ديوان الشيخ إبراهيم الرياحي (118-1266 هـ/1767-1850م)**، تح حمادي الساحلي، (د.ط)، الغرب الإسلامي، بيروت، (د.س)، ص ص: 5 ـ 10. وكذلك: صادق الزمرلي، مرجع سابق، ص: 49، 50.

كلها مرتبة وجاهزة، وجزء يحتوي على فهرس المكتبة العبدلية والصادقية وتشمل نفس تلك المواد ومرتبة بنفس الطريقة[1].

2ـ إصلاحات المشير محمد الصادق باي[2] (1276هـ/ 1882م):

من إصلاحاته أنه قام الصادق باي ببناء مقرا خاصا، ففتح أبوابه سنة 1856م وانتقل إليه التلاميذ للمكتب وحضر باي دخول التلاميذ بنفسه بهدف تشجيع التعلم وبذلك انتظم المكتب نسبيا بعد هذه العودة الجديدة في قبول التلاميذ كل سنة حوالي عشرين تلميذا[3]، حيث أدرك محمد الصادق وبتوجيه من خير الدين التونسي ومنذ وقت مبكر أن أحوال تونس في تدهور وبالتالي فإن أنفع وسيلة لإعادتها هي العلم لذلك أولي لإدارة المؤسسة التعليمية إحدى الشخصيات النخبوية ويدعي "الجنرال حسين" والذي كان له فلسفته الخاصة بالتعليم.

في سنة 1874م قام بتشكيل لجنة ضمنت ثمانية أعضاء من خير مثقفي تونس آنذاك حيث أوكلت إليها جهات أبرزها: إصدار قانون تنظيم الزيتونة الذي تألف من خمسة أبواب تشتمل على67 فصلا وقسمت الدراسة إلى ثلاثة مراحل:المرحلة الأولى بواقع 4 سنوات المرحلة الوسطى بـ ثلاثة سنوات، المرحلة العليا بسنتين، واقتصر التدريس في هذه الجامعة على المواد التقليدية بتوجيه من خير الدين[4].

3ـ إصلاحات الوزير خير الدين التونسي (1870-1877م):

دشن خير الدين بفعل النهضة الثقافية في تونس بعمليتين متوازيتن بإصلاح التعليم بجامع الزيتونة وذلك بإدخال العلوم الحديثة ضمن برامجها من جهة ومن جهة أخرى بإنشاء

---

[1]. عبد الحفيظ منصور، **فهرس المخطوطات المكتبة الأحمدية بتونس**، دار الفتح، بيروت، 1969م، ص ص: 6. 9.

[2]. هو المشير أبو وفاء محمد الصادق بن حسين بن محمود بن محمد الرشيد بن حسين بن علي تركي، وهو ثاني ملوك آل بيته العظام، من مواليد 1228هـ وبويع في 1276هـ وهو الذي جمع كل كتب المدارس والجوامع وضم إليها كتبا أخرى وجعلها مكتبته العامة بالمحل الذي بناه أبو عبد الله الحفصي بجامع الزيتونة، توفي سنة 1299هـ وترك كتبا كثيرة ملأت ست خزائن جعلها بصدر جامع الزيتونة أواسط سنة إحدى وتسعين...لمزيد أنظر: أبي عبد الله محمد بن عثمان السنوسي، **مسامرات الضريف بحسن التعريف**، تح : محمد الشاذلي النيفر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1994م ج1، ص:159.

[3].عبد الجليل التميمي، **الجيش التونسي في عهد محمد الصادق باي (1859-1882 م)**، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة صفاقس، 1995، ص:95.

[4].رابحة محمد الخضير، لمى عبد العزيز مصطفى، **التجربة الإصلاحية في تونس في عهد محمد الصادق الباي 1859ـ1881 م (دراسة طبعتها وأبعادها)**،**Rout Educational et social science journal**،ع **6**(2)،2019، ص ص:518،519.

مدرسة حديثة لتخريج الأطر الكفأة التي تحتاجها الدولة في مجال الإدارة والتسيير ولكي يضمن خير الدين لهذه المدرسة بالإستمرار والصمود في وجه الأزمات خصص لها ربع أملاك وقفية هامة[1].

كما اهتم بالتعليم الابتدائي، فأعاد تنظيم المدارس القرآنية والمدارس كانت تعد التلاميذ لإلتحاق بالتعليم الزيتوني وأصدر خير الدين في 18 ماي 1875م قانون يقضي بتأسيس "المكتبة العبدلية"[2]وهي تابعة لجامع الزيتونة ولكن الوزير نظم المطالعة فيها وحبس عليها 1100 مخطوط من مكتبته الخاصة وإشترى لها المطبوعات العربية الصادرة في الشرق وأوروبا وجهزها بالقوانين والتراتيب التي تهم البلاد التونسية وغيرها وكانت العبدلية آنذاك المكتبة العمومية الوحيدة ذات الطابع الحديث[3].

وفي سنة 1875م عمل على توسيع إطارات جامعة تونس وزاد عدد الأساتذة كليات الأقاليم وأنشأ في تونس المكتبة العامة الكبرى وفي 13 كانون الثاني من نفس السنة أنشأ بمساعدة القطاع الخاص إلى جانب الجامع الكبير مؤسسة تعليمية يغلب عليها الطابع العملي هي كلية الصادقية التي كانت تتألف من ثلاث شعب يمر بها الطالب الواحد، الأولى (الأدب) للدراسة العربية الثانوية، والثانية لتدريس علوم الفقه، والثالث للغات الأجنبية والعلوم الوضعية (الرياضيات، الفيزياء) وكان التعليم فيها مجانا للطلاب الداخلين والخارجين على السواء وقد جعل القطاع لهذه مؤسسة دخلا ثابتا يعادل اليوم أكثر من 300,000 فرنكا[4].

وقد حرص خير الدين على أن تطبق هذه التراتيب تطبيقا جازما فاستصدر أمرا ثانيا في 25 ذي الحجة 1292هـ (12 جانفي 1876) يقضي بتنظيم مراقبة ذلك التطبيق بإشراف مستشار المعارف "جنرال حسين" عين له نائبان هما الشيخان "عمر بن الشيخ" و"محمد بن خوجة" هذا مع إبقاء الإشراف العلمي للمفتين والقاضين الحنيفين والمالكيين ولقد أتم خير الدين هذه الإصلاحات في التعليم الزيتوني بإنشاء مكتبة جديدة بالجامع الأعظم

---

[1]. محمد العابد الجابري، **التعليم في مغرب العربي دراسة تحليلية نقدية سياسة التعليم في المغرب وتونس و الجزائر** د.ط الدار البيضاء، 1989م ، ص:70.

[2]. "تنتسب إلى مؤسسها أبي عبد الله محمد الحفصي، أحد أمراء تونس من بني حفص، وقد هيء لها مستقرها في واحد من أروقة الزيتونة حيث يقبل المتأدبون والطلاب إليها ليطالعوا فيها ما يحلو لهم من الكتب التي لا تعار، لمزيد انظر، محمد المختار بن محمود، **المجلة الزيتونية**، مج 3، ع 57، تونس في ذي الحجة ، فيفري 1939، ، ج 2،ص:74.

[3]. بلقاسم الغالي، مرجع السابق، ص ص:184- 186.

[4]. عبد العزيز الثعالبي، **تونس الشهيدة**، تر: سامي الجندي، دار القدس، 1975، بيروت، لبنان، ص ص: 56-57.

سميت بـ "المكتبة الصادقية" وقد أنشئت في سنة 1875م وحوت آلاف من الكتب المطبوعة والمخطوطة، وقد صحب هذه الإصلاحات أيضا العناية بمدارس سكن الطلبة من جهة ومن جهة أخرى تنظيم التعليم بالكتاتيب واشتراط الكفاءة والشهرة بحسب السيرة في مؤدبيها، ومع إبقاءه على ميزة التعليم الزيتوني الأساسية والموروثة وأنها تبدو كحلقة جديدة أضيفت إلى إصلاحات السابقة[1].

ويمتاز ترتيب خير الدين بأنه أكثر من عدد العلوم التي تدرس بالجامع الأعظم وحدد كيفية ابتداء تعليم التلميذ والعلوم التي يتلقاها أولا، ومراتب التدريس للكتب وشهادات الحضور والسيرة، وترتيب التعليم من حفظ وفهم، كما حدد للمدرس حصة زمانية وللمدرسين صفة تقرير الدرس، وجعل الإمتحان لتحصيل شهادة التطويع لمن زاول الدراسة بالجامع لمدة محددة وشهد لهم الشيوخ بذلك[2].

بالإضافة إلى هذه الإصلاحات، ظهرت محاولات من قبل بعض الفرنسيين من أهمهم: "لويس ماشويل" مدير التعليم العمومي، إذ كان له رؤية إصلاحية متكاملة، على رغم من إندراجها ضمن سياسة الثقافية التربوية ذات أبعاد إستعمارية غير حقيقة، ومن له عدة مقترحات التي نوقشت أثناء إنعقاد لجنة الإصلاح الأولى سنة 1897م أهمها:

- ضرورة تخصيص الجامع الأعظم للتعليم فقط.
- النظر في الفنون أو المواد الواجب أن تشتمل عليها برامج كل مرتبة من مراتب العلم.
- البحث في المواد الواجب إدراجها في التعليم قبل غيرها مع التأكيد على حتمية التعليم الديني في الجامع وخارجه.
- إمكانية إخضاع الطلبة لإمتحان كتابي يكون أحد الدروس المقررة موضوعا له على أن يقع احتسابه في النتائج النهائية وأخذه بعين الاعتبار.
- مطالبة كل مدرسين بالتدريس علم واحد أو اثنين على الأكثر[3].

---

[1]. أحمد عبد السلام، **مواقف إصلاحية في تونس قبل الحماية**، الشركة التونسية للتوزيع، قرطاج، تونس،1987، ص69.

[2]. محمد لحبيب بن خوجة، مرجع السابق، ص:147.

[3]. عبد الباسط الغابري، **المؤسسة الزيتونية والإصلاح**، قسم الدراسات الدينية مؤمنون بلا حدود، مملكة المغاربية، الرباط، 2015، ص ص:15-17.

بالإضافة إلى حرص طلبة جامع الزيتونة على الإصلاح ونادوا به وبرز هذا جليا بإعلان الإضراب في ربيع الثاني 1328هـ/1910م مطالبين بتحديد برامج التعليم المعمول بالجامع وتتلخص مطالبهم كالآتي:

- إعادة تنظيم التعليم الزيتوني وإصلاحه، من حيث المناهج الدراسية والأساليب التربوية مع الإلحاح على إدماج بعض المواد الضرورية في برنامج الدراسة كالتاريخ والجغرافيا وعلى تعديل بعض المواد التقليدية المملة[1].
- إحداث شهادة ختم الدروس للمرحلة الأولى من التعليم الزيتوني (الأهلية) ومراجعة حضور المدرسين، و إعفاء الطلبة من الخدمة العسكرية[2].

ولكن هذه الإصلاحات باءت بالفشل وذلك أن المشير أحمد باي الأول إختل النظام الذي قام به بعد وفاته، وقصر الكثير من الشيوخ في القيام بواجباتهم أما فيما يخص إصلاح خير الدين فقد بقي حبرا على ورق، وإن لم يكن هناك إقبال من طرف الطلبة على العلوم الحديثة، وقد نص على أنها اختياريه كما أن علماء الزيتونة أو على الأقل (المحافظون) منهم لم يكونوا ينظرون بعين الرضا للإصلاح الجديد[3]، فهذه الإصلاحات لم تتجدد ولكنها قننت وحاولت إحكام التنظيم طلبا للنجاعة، وقد كان عدد من رجال الإصلاح في تونس يطمحون إلى التجديد[4].

[1]. محمد الحبيب ابن خوجة، مرجع السابق، ص:176.

[2]. نفسه، ص:176.

[3]. محمد العابد الجابري، مرجع السابق، ص:72.

[4]. أحمد عبد السلام، مرجع السابق، ص:70.

ثانيا- إسهامات الطاهر بن عاشور في إصلاح التعليم:

أ- نظرة ابن عاشور في أسباب ضعف التعليم:

قسم الشيخ الطاهر بن عاشور أسباب ضعف التعليم إلى نوعين:أسباب عامة وخاصة[1].

1- الأسباب العامة:

حيث يعود تأخر التعليم في نظر الطاهر بن عاشور إلى الوقوف الفجائي الذي عرض للعلوم إثر سقوط الدولة العباسية، بإلاضافة إلى تداخل العلوم وربط بعضها ببعض وخصوصا علم الكلام والحكمة الذي أدمجوه بكل علم، فأوجب ذلك صنيعا في العلوم وكثرة الخلاف[2]، فإقتصرت العلوم المدروسة في جامع الزيتونة على نقل الكلام السلف[3]، ومن الأسباب كذلك هو انعدام خطة تربوية متطورة محكمة مراقبة من قبل علماء عارفين بحاجات الزمان وغايات العلوم وهذا بهدف مواكبة أساليب التعليم لمقتضيات العصر وتطوير هذه الأساليب وكذلك إهمال الضبط حيث أن المتعلم يتعلم باختياره والمدرس يدرس ما يروق لديه من الكتب ويقرر ما يختار من المسائل والمؤلف يصطلح على ما يشاء من العلوم، فكان التعليم غير مضبوط ولا متحد بطريقة واحدة بل يغلب عليه نوع من عدم الدقة والتنسيق[4].

كما أرجع الشيخ بن عاشور تأخر التعليم الزيتوني إلى غياب النزعة النقدية، حيث كان التعليم يقوم على سلب حرية النقد والإعتماد على النقل والتسليم ، وبلغ الأمر إلى حد عدم رضا الناس بما يقوله المؤلفون حتى إذا وجدوا قولين متناقضين أمسكوا عن الترجيح وقالوا "هذا قال، وهذا قال" خصوصا في علم الفقه.

ومن أسباب ضعف العلوم هو القصور اللغوي والذي كان ظاهرا للعيان عند المدرسين، إذ تجد الواحد منهم يقضي عمره في تدريس العلوم الإسلامية مقاصدها ووسائلها وهو لا يحسن التعبير بكلام عربي فصيح ويعود ذلك إلى عدة أسباب منها طريقة التدريس القائمة على نقل عبارات المؤلفين، دون محاولة التدريب على صياغة ذاتية، يتم تعهدها

---

[1]. بلقاسم الغالي، مرجع السابق، ص:189.

[2]. محمد الطاهر بن عاشور، **أليس**، مصدر سابق، ص:154.

[3]. عبد اللاوي بشير، مرجع سابق، ص:286.

[4]. بلقاسم الغالي، مرجع سابق، ص:189.

بالإصلاح حتى يصل التلميذ إلى درجة الإبداع كما يعود إلى أن المحادثة بين التلاميذ وأستاذهم لا تتم بالاعتماد على اللغة العربية فلا تتاح لهم فرصة التخاطب بها[1].

2ـ الأسباب الخاصة:

تمثلت في تداخل العلوم وربط بعضها ببعض فلا يكاد فن من الفنون العلمية يخلو من استخدام الحكمة أو علم الكلام وإن أوجب ذلك ضيقا في العلوم وكثرة الخلاف وكذلك الإعجاب بآراء المتقدمين، وتنزيههم عن الخطأ وانحصار السلم في تداول ما تناقلته الأجيال بعضها عن بعض وقد يحصل النقل لقولين متجانبين في موضوع واحد وهما متضادان فيحاولون إصلاح ذلك بضروب من التكلف، كقلب الحقيقة إلى مجاز وغير ذلك[2].

ومن الأسباب كذلك هو إهمال التمرين والعمل بالمعلومات في المرحلة الثانوية، حيث نرى جامع الزيتونة بتونس وفي كثير من بلاد الإسلام علوما تدرس، وكتبا تختم ولا نرى فيمن تحادث أو تجالس فصيح لسان أو بليغ بيان مع احتياج إلى إحياء اللغة لتفي بالحاجات المدنية الواسعة لأن سعة التمدن تقتضي سعة اللغة بالضرورة، حيث يقرأ الناس علم البلاغة وعلم الأصول، وعلم النحو، فلا نجد من يتجنب اللحن في قوله ودرسه بالإضافة إلى غياب الحفظ في المرحلة الإبتدائية بحيث يرى ابن عاشور أنّ في هذه المرحلة هي الأكثر استعدادا للتقبل والتزود بالمعلومات فينبغي تدريبها وإيلاؤها العناية اللازمة لها. وهذا الرأي يميل إلى المنهج التربوي القديم[3].

بالإضافة إلى فساد التآليف الذي يمكن القول فيه سابقا أنه أفسد العلوم التي تدرس فإن نظام التآليف وعنوان المسائل، وترتيب التأليف وقت وضعها على حسب مراتب التلاميذ بالتدريج الطبيعي، ذلك كله نصف الفهم، وعلى نسبة يكون العلم المرتسم بالحافظة والتهاون بعدة علوم نافعة، وقد نشأ هذا عن عدة أسباب سابقة منها التقديس الصوفي المتقدم، فإنهم حقروا علوما عجزت عنها أقلامهم من العلوم العقلية العليا الشرعية كعلم أصول الفقه، وعلم البلاغة والتاريخ والعمران... الخ، أما العلوم المنقولة عن اليونان فعرفو بنزاهتهم عنها وأما

---

[1]. عبد اللاوي بشير، مرجع السابق، ص:287.

[2]. محمد الحبيب ابن خوجة، مرجع سابق، ص ص:234، 235.

[3]. بلقاسم الغالي، مرجع سابق، ص ص: 193،194.

العلوم الأدبية مثل شعر والكتابة وآداب المجالسة، فلقد قضى عليها إعتبارهم الخوض فيها إضاعة لوقت لأن الجمود أراهم إياها شيئا زائد على الحاجة[1].

إضافة إلى ذلك عدم مراعاة للمصالح الصحية وهي ملاحظة متطورة تواكب دعوة أساليب التربية الحديثة التي تؤكد على مراعاة المصالح الصحية للمتعلم، والشيخ لا يرى الإعتناء كافيا بالمصالح الصحية للمتعلم في نظر التعليم الإسلامي ويرى أن أشغال التلاميذ ومجالسهم ومساكنهم ومحل درسهم كل ذلك قاضيا بإنهاك قواهم، والتربية من ذلك التعليم بعد الأكل وتقليل الحركة والمشي والعمل خصوصا في وقت الشتاء وإكثار الدروس... الخ وقد راعى الشيخ بن عاشور هذه المصالح الصحية للطلاب عند إشرافه على التعليم في جامع الزيتونة ومن الأسباب كذلك في تراجع التعليم هو الجري وراء الشهادة من غير تحصيل علمي وهذه الظاهرة التي شاعت بين المتعلمين في عصره تتمثل في تفكير التلاميذ منذ الابتداء لاستعجال لتحصيل الشهادة من غير تفكير في الأهم من ذلك وهو الكمال العلمي فغاب التجديد في العلوم والابتكار في المسائل[2].

ب- إصلاح التآليف والعلوم :

1- التآليف والعلوم:

1-1 - التآليف:

إن حركة التآليف في مختلف أطوارها نجدها محكومة في طبيعة الزمان بحال الأمة ولذلك نجد أن الشيخ بن عاشور قد نقد أوضاع الكتب في عصره وما قبل عصره مع استعراض أحوال التآليف ومدارسه ومناهجه قديما وحديثا ومذكرا بما كان من ذلك من نشاط فكري في العواصم الفكرية والشام والقيروان وإفريقية والأندلس والمغرب، وانتقل إلى النظر في الكتب المدرسية التي يزاول الطلبة دراستها والنظر فيها بما يتلقونه عن شيوخهم[3]، ومن وجوه النقد التي أشار إليها نجد:

- ترك التطويلات في التآليف وتجنب التخليط والاستطراد، وقد كانت المؤلفات المقررة فيها حشو في نوادر ذلك العلم، فهذا كله يجب أن يدحض فلا المنطق يؤدي به في

[1]. محمد الطاهر بن عاشور، **أليس**، مصدر سابق، ص:194.

[2]. بلقاسم الغالي، مرجع سابق، ص:194،195.

[3]. محمد الحبيب ابن خوجة، مرجع سابق، ص:234.

مبادئ علم الأصول ولا الفلسفة في باب التشبيه ولا بالحواس الباطنة في الفصل الوصل من البلاغة ولا تصوف في الفقه.

- تجنب التأويل للتراكيب الفاسدة، ولابد أن تختصر العبارات الأصلية بسهولة الحفظ مع شرط وفائها بمعناها وتطيل الشرح لتوسيع الفهم وأما المنهج العلمي الذي رآه الشيخ وأكد عليه لإصلاح التآليف يتمثل في تأسيس لجنة من العلماء لتنظر في خلل الكتب، وإصلاحها وإحياء ما ندرس منها ولترجمة ما نحتاجه من كتب العلوم التي تقدمت تقدما واسعا على من تركها فيه السلف مثل الكتب الهيئة والطبيعة والجغرافيا وغيرها.[1]

بالإضافة إلى غرس النزعة النقدية وتجنب التأويل للتراكيب الفاسدة، بدعوى المجاز أو حذف المضاف وعدم ترك الأساتذة وشأنهم في الاختيار والتأليف وكذلك عدم الوقوف عند التآليف المعقدة، بل لابد من اختيار تآليف أخرى أكثر فائدة والعمل على إنشاء تآليف جديدة ملائمة لحاجاتهم ووفقا لأسلوبهم.[2]

وقد تضمنت اقتراحات ابن عاشور العلمية نقائص مجتمعاتنا مثل جودة التآليف المدرسية والجامعية وترجمة الكتب العلمية التي نحتاج إليها لمواكبة العصر، مع بث الأخلاق الفاضلة والتحريض على العمل المنتج.

ويعطي الشيخ أهمية إصلاح التآليف لأن إصلاحها هو وحده المرجو لإصلاح تلاميذنا حتى ننشئ منهم معلمين أكفاء للمستقبل قال " أملت العلوم هنا إصلاحا لها وإصلاح التآليف هو الخطوة الأولى بل هو نصف المسافة من إصلاح العلوم فما العلوم إلا معاني والتآليف وأنها لا ترجو تقدما ما دامت محبوسة في تآليفها القديمة التي وقفت بها عند القديم منذ ستمائة سنة".

ويؤكد الشيخ ابن عاشور على وجوب تطوير هذه التآليف لأنها تسهم في العملية التعليمية وتساعد على بناء الفكر وتنظميه وهذه التآليف لم تتطور بل بقيت جامدة رغم تبدل العصور وتقدم العلوم وتطور الأمم[3].

1-2 - إصلاح العلوم:

[1]. بلقاسم الغالي، مرجع سابق، ص:199.

[2]. عبد اللاوي بشير، مرجع سابق، ص:302.

[3]. بلقاسم الغالي، مرجع سابق، ص ص: 196،197.

أما العلوم فهي تنقسم الى قسمين:أولها من هي نوع من الموضوعات المسائلة لكنها تخالفها بإختلاف الإعتبار كعلم النحو،أما ثانيها فهي من يبحث أشياء لا لذاتها بل لإستنتاج عنها، مثل علم التاريخ الباحث عن أحوال الأمم وأسباب صعودها وهبوطها وأطوار العلوم في الأمة تشبه أطوارها في الأفراد ذلك أن العلم في الأمة له أربعة أطوار الأول: وهو طور الحفظ والتقليد وقبول المسائل كما هي من غير إنتساب بعضها من بعض ولا نفكر في غايتها، بل لقصد العمل الثاني وهو طور الانتساب بعضها من بعض وتنويعها والإنتفاع ببعضها البعض، أما الثالث: فهو البحث في أسرارها وغايتها، أما الرابع فهو الحكم عليها بإعتبار تلك العلل بالتصحيح والنقد، وهو التضلع والتحرير[1].

ج – إصلاح منهاج الدراسة:

إن إصلاح التعليم من وجهة نظر ابن عاشور ليس تلفيقا بل يتم وفق رؤية ومنهج تنطلق من الإسلام بوصفه "دينا وتثقيفا وتمدينا وتنويرا للبصائر" انفرد عن غيره من الأديان بالتنويه بالعلم والأمر به شامل لمختلف جوانب الحياة[2]، حيث لم ير ابن عاشور مانعا من توجه النقد البناء للمناهج التدريسية المعتمدة بالكشف مما تشكوه من سلبيات لعل أخطرها طريقة الإلقاء التي كانت متبعة لدى عدد وافر من الشيوخ نظرا لبعدها عن الإيصال إلى الغاية المرجوة وهي سعة الفكر في وجيز الوقت، داعيا باستمرار إلى ضرورة تمكين الطالب من حرية النقد لإحداث قوة حاكمة في الفكر تميز الصحيح من العليل مما يلقى إليه منبها إلى أن خطر النقد والبحث أمر بإبقاء الفساد وهو أخطر أسباب التأخر ولتوفير هذه الملكة النقدية المبتغاة والمساعدة على تحصيل نسبة محترمة من النباهة والمعلومات لدى التلاميذ[3].

---

[1]. محمد الطاهر بن عاشور، **أليس**، مصدر سابق، ص ص:150،152

[2]. بدران بن لحسن، **ابن عاشور وإعادة الاعتبار للقول الكلي في الفكر الإسلامي**، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، مجلة علمية محكمة، دولة الإمارات العربية المتحدة، ع 44، 1434 هـ/2012 م، جامعة باتنة، الجزائر، ص: 50.

[3]. الصادق بن سياسي كرشيد، مرجع سابق، ص:240.

وقد عمل الطاهر بن عاشور على إصلاح منهاج الدراسة بجامع الزيتونة من خلال:

1- الإهتمام بالمدرسين وبالتلاميذ:

1-1 **المدرسين:** حيث كان المدرسون هم السبب الرئيسي في فساد التعليم فينبغي العناية بطريقة اختيارهم والتدقيق في مدى اتصافهم بما يؤهلهم للقيام بدورهم[1]، ولهذا حرص الناس منذ القديم على التدقيق في إختيار المدرسين، وتيرة الإصلاح عبر خطوات تخريج معلمين جدد يستجيبون للتطور ويقدرون على مسايرة تبدل الأحوال ولم يتحقق ذلك إلا أن "تدرس صناعة التعليم قبل إنتخاب المدرس للتدريس" وهذا ما كان معمولا به عندما تم تأسيس المدرسة التأديبية 1312هـ/1894م لتكوين المؤدبين ويبدو أن إقتراح ابن عاشور يتطابق مع وجهات نظر المختصين في الوقت الحالي وهو وجوب إنتداب من يتوفر لديه حد أدنى من المؤهلات ولئن تم بعث مدارس شبيهة في العقود اللاحقة وهو دور المعلمين الترشيحية والعليا ولكن وقع التخلي عنها في إطار التجهيل للمنهج الذي سلكته بعض الحكومات بعد الاستقلال.

1-2 تحريك سواكن المعلمين القدماء:

وذلك من خلال إشعارهم بأن المحيط من حولهم يتبدل كله ولا خيار لهم إلا المسايرة أو البقاء على الهامش، ولكن لا يعني ذلك بقاء القدماء وشأنهم خلال المرحلة الإنتقالية، لأن ذلك الزمن ربما يطول ويصبح بعضهم معول هدم وفساد.[2]

2-1 توقيت الدروس:

كان ابن عاشور دائم التأكيد على ضرورة ضبط أوقات كي يتجنب أي تداخل بينهما ووضع حد لما لاحظ أحيانا من عدم احترام للوقت من طرف بعض أعضاء هيئة التدريس محاولا بذلك القضاء على مختلف مظاهر التسيب إلى حد أنه نصح المسؤولين بإعادة ضبط أوقات الصلاة داخل الجامع بشكل يسمح بانتظام الدروس واحترام قدسيتها يقول الشيخ "وأما ضبط أوقات التعليم للتدريس[3] فهو السياج الوحيد لدفع التداخل بين أوقات الدرس وهو المبدأ العظيم لكل نظام يراد إجراؤه في توزيع

[1]. عبد اللاوي بشير، مرجع سابق، ص:296.

[2]. مرجع نفسه، ص:296.

[3] .الصادق بن ساسي كرشيد، مرجع سابق، ص:239.

التلاميذ ومراقبة المدرسين وتوقيت مقادير الدرس وذلك أن التوقيت للشغل هو راحة البال للمشغل وتدريب على إعطاء الوقت قيمته، ومن الضبط للدروس أيضا في مثل الجامع ضبط أوقات الصلاة بأن لم يقدمها الأئمة أو يؤخروها.[1]

2-2 التلاميذ: يعد التلاميذ الغاية من التعليم ولذلك كان الأجدر وضعهم في أعلى سلم الأولويات ولكن حالهم كما تقدم لا يختلف عن حال مختلف عناصر العملية التربوية ولذلك اهتم ابن عاشور بهم من خلال مظاهر كثيرة :

- إعطاء مكانة التلميذ بتكثيف التمرين كأنه يّمكن من الحكم "على ما يراه في المعاني من حسن أو قبح، ثم يصوب أستاذه له ما يراه حسنا ويغلطه في غيره".
- استخدام أفكار التلاميذ في غير فهم العبارات لأن الغلو في الطريقة الاستحضارية يتعسر ومعه اشتراك الطريقة بالنظرية لأن الأولى تقتضي الإطلاع على الكتب والإكثار من تكريرها والثانية تقتضي البحث والتأمل والواجب أن يكون التعليم نظريا وأن يمزج بالاستحضار.
- تقسيم التلاميذ إلى مجموعات حتى يتمكن الأستاذ من إحصاؤهم ومراقبة أحوالهم العلمية والنظامية من مواظبة وعناية وتقدم وحسن السيرة[2].

3ـ مراجعة المقرارت وضوابط انتداب المدرسين وعلاقتهم بالطلبة:

فكان من بين ما حرص عليه ابن عاشور في هذا المجال ضرورة التزام الجميع بالعمل على أن تكون العلاقة بين الطالب وأستاذه مبنية على التواصل والصداقة، مما يستحق التحبيب في الدرس من خلال المعلم[3].

4ـ مراجعة طريقة الامتحانات وضوابط إسناد الشهائد العلمية:

حيث أعلن ابن عاشور أن الامتحانات العلمية ما جعلت منذ القديم، إلا لاختبار الطالب فيما أريد منه التعلم، وأن المرجع في تطبيق الطريقة المطلوبة، هوعلم القائمين بتنفيذ تلك الضوابط وعدالتهم[4].

---

[1]. نفسه، ص:239.

[2].عبد اللاوي بشير، مرجع سابق، ص:287.

[3] .الصادق بن ساسي كرشيد، مرجع سابق ص ص:239،240.

[4] . مرجع نفسه، ص:240

ثالثا- تقييم المشروع الاصلاحي لطاهر بن عاشور:

أ - الصعوبات التي واجهته:

إن المشروع الإصلاحي الذي صاغه ابن عاشور قد قوبل بالإعراض والصدود من قبل الدولة الوطنية في تونس إبان الاستقلال بسبب اتجاهها العلماني فإن فكره "ليس خاصا بتونس وإنما موجه إلى الأمة الإسلامية كافة وأنه لا يمكن التفكير في وضع استراتيجية التقدم العربية والإسلامية دون العودة إلى هذه المدرسة الإصلاحية ودراسة الفكر الإصلاحي لروادها[1]، كما أن موقف فرنسا من إصلاحاته أنها خشيت من تفاقم الوضع، ومن تضافر جهود المواطنين على نقض أهدافها السياسية وتخطيطاتها الاستعمارية في كل المجالات فحاولت أن تقضي على حركات الإضراب الطالبية بجامع الزيتونة وفروعه، مثلما قامت بشن حملاتها على العناصر الشبانية، ورجال الحركة القومية وتوجيه التهمة لهم بالتنكر للمد الحضاري الأوروبي الذي أقامت عليه فرنسا سياستها في المستعمرات وبالتآمر مع أعداء النظام على أمن الدولة والعمل على التخلص من الاحتلال بكل صوره وجميع مظاهره وأشكاله، ولم تدع الإدارة الاستعمارية فرصة تسنح إلا استغلتها من أجل إضعاف روح التكتل القومي الهش وفصل أتباعها المباشرين على نهجها عن الثقافة العربية التونسية[2]، كما قامت الإدارة الفرنسية بمنع الأساتذة التابعين لإدارة التعليم والمعارف من الإسهام بدروسهم بالشعبة العلمية والعصرية قصد تحقيق النهضة العلمية الزيتونية، ومن جهة أخرى قامت بحجب تأشيرة الدخول للمملكة عن كثير من الأساتذة الضيوف الذين يتعاونون مع الزيتونين في نطاق تبادل الزيارات[3].

وفي سنة 1930م عند تشكيل لجنة لإصلاح التعليم الزيتوني، واجهت أفكار الشيخ بن عاشور الإصلاحية داخل تلك اللجنة مناهضة شديدة من قبل ممثلي الإدارة والجامع الأعظم المعارضين لفكرة الإصلاح.

وقد ظهرت أصداء الاختلافات بين النزاعات المتباينة في صلب اللجنة، لدى الرأي العام، وعلى صفحات الجرائد، فإنحازات جريدة "النهضة" للشيخ الطاهر بن عاشور وبرنامجه

---

[1]. محمد الطاهر الميساوي، **الشيخ محمد الطاهر بن عاشور وقضايا الإصلاح والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر**، رؤية معرفية ومنهجية، التجديد، مج 18، ع 35، 1435 هـ/2014 م، ص: 218.

[2]. محمد الحبيب ابن خوجة، مرجع سابق، ص:308.

[3]. الطاهر عبد الله، مرجع سابق، ص:225.

التجديدي فيما ساندت جريدة "الزهرة" وجهات النظر التي عبر عنها المشائخ المحافظون وأيده الطاهر بن عاشور بطبيعة الحال الدستوريون والإصلاحيون وفي مقدمتهم الشاذلي خير الله مدير الجريدة" صوت التونسي بينما حاول الطلبة الزيتونيون الضغط على المحافظين بالاضطرابات والمظاهرات[1]، وتواصلت قبل ذلك صور القمع والهدم للزيتونة فكان من ذلك إيقاف حركة إنشاء الفروع الزيتونة و إضافة إلى التطبيق على موارد التعليم الزيتوني بالحد من الاعتمادات المالية الضرورية للقيام بشؤون التعليم على الوجه المطلوب ومنع الأساتذة التابعين لإدارة التعليم والمعارف وبث الفتنة بين الأساتذة وتقسيمهم إلى مؤيدين للإصلاح ومناهضين له، وزعزعة الحركة الطلابية بإيجاد الفرقة والنزاع بين الكتلة والطالب[2]، كما أن شيوخ الزيتونة تلقوا إقتراحات الطلبة لسير التعليم "بسوء الظن" وتخيلوا أنها شرك نصبه المحتل لإبطال تعليم العلوم الإسلامية فصمموا على المعارضة، وتلك عادة عرفوا بها، حيث أنهم لم يفتحون باب المباحثة ليعرفوا التفاصيل والكيفيات فتتكشف المقاصد، بل يقاومون الإصلاح ولو كان صوابا[3].

وحين اشتد الصراع وطغى العدوان الفرنسي قام ساسة ومفكرون تونسيون بإدخال أنواع من التطوير، تأكد بها القضاء على المعهد والجامعة الزيتونية وكان هذا التصرف على مراحل أولا بإلحاق هذا التعليم بوزارة التعليم بعد أن كان من نظر رئاسة الحكومة ثم من نظر وزارة الدولة والمؤسسات الإسلامية، واستمر دعاة الإصلاح والمؤسسات الإسلامية والمسؤولون عنه يحرصون على تعريب التعليم ثم على توحيده، وكان من آثار ذلك فقط ترك التعليم الزيتوني مقصورا على التعليم العالي، دون أن تكون له روافد تسنده، ورغما على الإصلاحات الجزئية التي كانت محط الآمال وفصل الإمام على المشيخة[4]،حيث اضطر الشيخ لتقديم استقالة في سبتمبر 1933م، بعد إضطربات وقلاقل ظهرت بسبب دسائس ترمي للمعارضة مواقف أتّهم باطلا باتخاذها فيما يسمى "بقضية فتوى التجنيس "وهي في الحقيقة قضية اصطنعتها الحركة القومية لأسباب سياسية تكتيكية بحتة بدليل أن الحملة ضد الشيخ وبقية أعضاء المجلس الشرعي بدأت وتفاقمت مع أن الفتوى لم تحرر ولم يعلم أحد

---

[1]. أحمد قصاب، مرجع سابق، ص ص:318،319.

[2]. محمد الحبيب ابن خوجة، مرجع سابق، ص ص:310،311.

[3]. عبد اللاوي بشير مكي، مرجع سابق، ص:295.

[4]. محمد الحبيب بن خوجة، مرجع سابق، ص:310.

بفحواها وكانت هذه الدسيسة ذريعة للمحافظين من أعيان الزيتونة المناهضين لبرنامج ابن عاشور الإصلاحي فشجعوا المدرسين والطلبة على التشويش والشغب.[1]

مما زاد في تعقيد الوضع أن النسق الذي أعطى للحركة الاصلاحية الزيتونية كان يكتسي صبغة لا رجعة فيها، وكان متزامنا من باب الصدفة مع تصاعد حملة مطلبية كانت تشنها آنذاك الطبقات الكادحة، المستغلة إستغلالا فاحشا من قبل أرباب العمل الموسومين بالجشع، وأدى التعنت الى رد فعل السلطة وقمع والهيجان، مما تسبب في إصابة العديد من الضحايا من بين المشوشين ،وذلك قبيل قدوم المقيم العام الفرنسي" أرمان غيون" الذي أوفدته حكومة الجبهة الشعبية برئاسة ليون بلوم إلى تونس لإنتهاج سياسة جديدة مرتكزة على الإنفراج السياسي والتقارب مع الطبقات التونسية النيرة وإستئناف الحوار معها قصد تحقيق ما يصبو إليه الجميع من هدوء وإطمئنان[2]، بالإضافة إلى وجود صعوبات مالية فقد عملت سلطات الحماية على تعطيل إنجاز برنامج الشيخ "محمد الطاهر بن عاشور بطرق متنوعة منها ومقاومة إنشاء الفروع والتضييق في الإعتمادات المالية، ووضع الأساتذة التابعين لإدارة المعارف من إلقاء الدروس التي كلفتهم بها الإدارة مشيخة الجامع، كما منعتهم السلطة من منحهم تأشيرة الدخول للأساتذة القادمين من مصر وغير ذلك من وسائل التعجيز[3].

ب ـ نتائج الإصلاح:

رغم الصعوبات التي إعترضت المسيرة الإصلاحية لطاهر بن عاشور، إلا أن نشاطه أسفر عنه عدة نتائج، وما يؤكد ذلك نجاح جهوده الخاصة في إقبال الطلبة المنتسبين للزيتونة حيث شهدت إزديادا ملحوظا في تونس بل ومن الجارتين الجزائر وليبيا بالرغم من حملات التشكيك في جدوى الإنتساب إليها وضروب الحصار على العناصر الوطنية والفاعلة فيها إلا أن كل ذلك وغيره من أشكال مؤامرة الإستعمار وأذنابه على الزيتونة لم يمنع من تنافس الطلبة في الإلتحاق بها والتباهي بالإنتساب إليها بسبب تعطشهم للمعرفة والحرية وبحثهم عن كل ما من شأنه أن يوثق علاقتهم بهويتهم دون حرمانهم من مواكبة التطور الحضاري والإنفتاح على الآخر، وهو ما آثار حفيظة المستعمر الذي لم يجد بدّا من دفع

---

[1]. محمد العزيز بن عاشور، مرجع سابق، ص ص:121،122.

[2].الصادق زمرلي،**أعلام تونسيون**، تر:حمادى الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1997، ص ص: 362 .363

[3]. محمد العزيز بن عاشور، مرجع سابق، ص:124.

أتباعه إلى التضييق أكثر على ابن عاشور وإلصاق تهمة الخروج عن القانون والتحريض المقصود على نشر الفوضى بإعتباره المتكلم بإسم رواد التجديد في لجان الإصلاح والنظارة العلمية بالجامع الأعظم مما يستعجل بإحباط مشروعه والتخلص منه[1].

وكان الشيخ في مشروعه الإصلاحي في ميدان التربية والتعليم جرئيا إذا نقد أحوال العلوم الإسلامية وطرائق تعليمها وأسباب النهوض والإنحطاط التي تعرضت لها في العديد من العصور نقدا غير هياب ولا وجل بالإضافة إلى أن برنامج شيخ محمد الطاهر بن عاشور لإصلاح التعليم الزيتوني في طموحه ونقده لأوضاعه عميق ودقيق، يدل على نضج التجربة وعمق وثقافة وسعة العلم بالدقائق العلمية ووعي شامل بأبعاد الثقافة الإسلامية وعلومها ومنزلها وما اعترتها من ازدهار وانحطاط في أدوارها المختلفة[2].

ويقول الشيخ "بالقاضي قرين ابن عاشور" مبرزا نتائج الإصلاح في ما نالته الأمة بذلك حظا من التعليم لم تشله من ذي قبل وأحداث توجيها جديدا للشرق بعد أن كان هذا التوجيه للغرب خاصة، وبعثت شعورا اندفع الناس تحت تأثيره إلى أسمى الغايات وأنبل المقاصد، فكان الأستاذ الإمام صاحب مدرسة ومجددا، كما أن الجزم بنجاح التجربة أو فشلها لا يستقيم إلا بعد تبيين مدى تجاوب الجماهير معها وكيفية تعامل السلطات القائمة[3].

وقد تحدث الشيخ الطاهر ابن عاشور عن نتائج الإصلاح التي قام بها مع أمثاله المخلصين فقال "ما كان فخر جامع الزيتونة بشيوخ الشريعة وأساطين التدريس في عديد من الأجيال بأعظم من فخره بخريجيه من كبار الوزراء وعظماء الكتاب والمشاهير الحكام والمحامين ورجال الصحافة والاقتصاد[4]، ففي رأي الطاهر بن عاشور أن التعليم لا يهدف إلى مجرد تعليم، بل له غايات دنيوية وأخروية، وراء هاتين الغايتين غاية هي أسمى وأعظم مما يبدو منها وهي إنتاج قادة للأمة في دينها ودنياها[5].

أصبح جامع الزيتونة بإعتباره المؤسسة الدينية العريقة محل إعتناء العناصر الشعبية كلها ومركز التفاف ومناصرة جميع المنظمات الوطنية حتى صار تجميع الندوات السياسية

---

[1]. الصادق بن ساسي كرشيد، مرجع سابق، ص ص:224 ـ243.

[2]. بلقاسم الغالي، مرجع سابق، ص ص:206،207.

[3].الصادق بن ساسي كرشيد، مرجع سابق، ص:224.

[4]. براهيمي طاهر، مرجع سابق، ص:29.

[5]. بدران بن لحسن، مرجع سابق، ص:49.

والوفود لا تنعقد ولا تسير إلا بالزيتونيين والمظاهرات لا تخرج إلا وهي في مقدمة قادتها وأنّ ما قام به ابن عاشور من جهود في البحث عن أسباب تخلف المسلمين ومحاولاته وضع مشروع يساعدهم على النهوض من كبوتهم وكان محل إعجاب وتقدير من أغلب معاصريه والذين جاءوا من بعده حيث كان غير مشجع لهم على مواصلة البحث عن مناهج أقوم في التصنيف وسبل أفضل لإصلاح ولتنشيط الحوار[1].

لقد عرفت الزيتونة محمد الطاهر بن عاشور طالبا متميزا في تحصيله العلمي وخبرته مدرسا متحمسا مقتدرا وعهده طلابها وأساتذتها داعية لإصلاح التعليم الزيتوني وحاملا للوائه وعاملا في سبيله من مواقع مختلفة كما عرفت تونس ابن عاشور شيخا للجامع الأعظم الزيتونة وخبرته قاضيا ومفتيا يتوخى تحقيق العدل والالتزام بالحق في أقضيته وفتاويه مهما كان في ذلك من معارضة لرغبات المتقاضيين أو مناقضة لأهواء المستفتين[2]، فقد بذل الشيخ كل ما في وسعه لإصلاح التعليم الزيتوني وتطويره وتنشيط الدروس في كافة الفروع الزيتونية المنتشرة داخل البلاد، وسرعان ما أسفرت جميع تلك الجهود على النتائج المنشودة، وأكبر دليل على ذلك، الزيادة السريعة في عدد الطلبة المتجهين إلى جامع الزيتونة من كل صوب لمزاولة دراستهم واستحقاق الشهادات العلمية الممنوحة لهم، وكذلك إقبال أبناء الريف على التعليم الزيتوني المتجدد[3].

[1]. الصادق بن ساسي كرشيد، مرجع سابق، ص ص:214-246.

[2]عبد القادر موفق، مرجع سابق، ص: 6.

[3] الصادق الزمرلي، مرجع سابق، ص ص: 362،363

خـــاتـمـــــة

خاتمة:

بعد العرض والتحليل للموضوعنا الموسوم بـ" محمد الطاهر بن عاشور ودوره الإصلاحي في تونس (التعليم) 1879- 1973م" توصلت إلى جملة من النتائج أهمها:

أن العلامة محمد الطاهر بن عاشور شهد في عصره مرحلتين: مرحلة الاستعمار التي تميزت بالاضطراب وغياب الأمن وطرأت عليها تغيرات على المستوى السياسي والاجتماعي والثقافي، أما مرحلة الاستقلال فشهدت النهضة وحركات إصلاحية شملت جميع المجالات.

إن المنبع الذي استقى منه محمد الطاهر بن عاشور في تلقي العلم والمعرفة كان عن طريق المشايخ وأصحاب الطرق الصوفية والزوايا، حيث تزود منهم وأتبع منهجهم فنال بذلك حظا وافر من العلم ومكانة بين أوساط مجتمعه.

عرف محمد الطاهر بن عاشور بحركته الإصلاحية وإسهاماته في إصلاح المجتمع من مظاهر الفساد والضعف، فكان تقلده لعدة مناصب إدارية وقضائية رغم صغر سنه دليل على وعيه ونضج تفكيره.

اشتهر الشيخ محمد الطاهر بن عاشور بتفسيره للقرآن العظيم بتألفيه كتابه المسمى "تفسير التحرير والتنوير" و أبدع في الأصول بكتابه " مقاصد الشريعة " وفي إصلاح التعليم الإسلامي في كتابه" أليس الصبح بقريب " الذي صاغ فيه نظريته في منهج التعليم وسبل إصلاحه، وتصحيح مسار العلوم، فكانت هذه الأعمدة الثلاث " التفسير والأصول وإصلاح التعليم" شكلت محورا لحياة الشيخ العلمية والعملية، بالإضافة إلى أن كتابه " أصول النظام الإجتماعي" عالج فيه مختلف قضايا المجتمع ودعى فيه إلى الإلتزام بمبادئ الشريعة الإسلامية والدعوة إلى إيجاد جامعة إسلامية، وحثه على تعليم المرأة كونها نصف المجتمع متبعا في ذلك ما دعا إليه القرآن العظيم وسنة نبيه الكريم.

ساهم محمد الطاهر بن عاشور في تكريس جهوده في سبيل إصلاح التعليم حين نظر في أسباب ضعف التعليم وما آل إليه، خاصة بعد سقوط الدولة العباسية و إنعدام وجود خطة تربوية متطورة، ومن جهة أخرى غياب النزعة النقدية وفساد التآليف وتداخل العلوم بعضها ببعض، والجري وراء الشهادة من غير تحصيل علمي أدى إلى غياب التجديد في العلوم، وذلك من خلال ما قدمه من اقتراحات والتي تضمنت مواطن الضعف والقوة، كما أن دعوته إلى إصلاح منهاج الدراسة بهدف تحقيق التقدم في العلم للنهوض بالمجتمع.

خاتمة:

رغم ما قدمه محمد الطاهر بن عاشور في سبيل إصلاح المجتمع بالدرجة الأولى ثم إصلاح التعليم بجامع الزيتونة بالدرجة الثانية، إلا أنه واجهته عدة صعوبات كغيره من مصلحين عصره، كل الصعوبات التي عرقلت مسيرة " محمد الطاهر بن عاشور" لم تمنعه من تحقيق إنجازات ونجاحات، وما يؤكد صحة ذلك هو إقبال الطلبة المنتسبين للزيتونة من تونس وما جاورها من دول خاصة الجزائر وليبيا، كما أن نقده للأوضاع السائدة دل على نضجه وعمق ثقافته ودعوته لم تكن خاصة بمجتمع تونس، بل عممها لتشمل أبعاد الثقافة الإسلامية.

يظهر أنه من خلال دراستنا أن محمد الطاهر بن عاشور عرف بمواقفه الصارمة، وبإصلاحاته المنشودة وبتجاربه من الواقع الذي عاصره، فكان بذلك من أكبر رواد الإصلاح في عصره ونال بذلك الإعجاب والتقدير من أغلب معاصريه الذين جاؤوا من بعده للسير على منهجه وترك محمد الطاهر بن عاشور بعد وفاته عدة مؤلفات في الأدب والشريعة، جعلها ذخرا للأمة، ومرجع لكل طلاب العلم.

الـمـــلاحـــــق

ملاحق الوثائق

الملحق رقم(1): مخطط يوضح أسرة آل عاشور

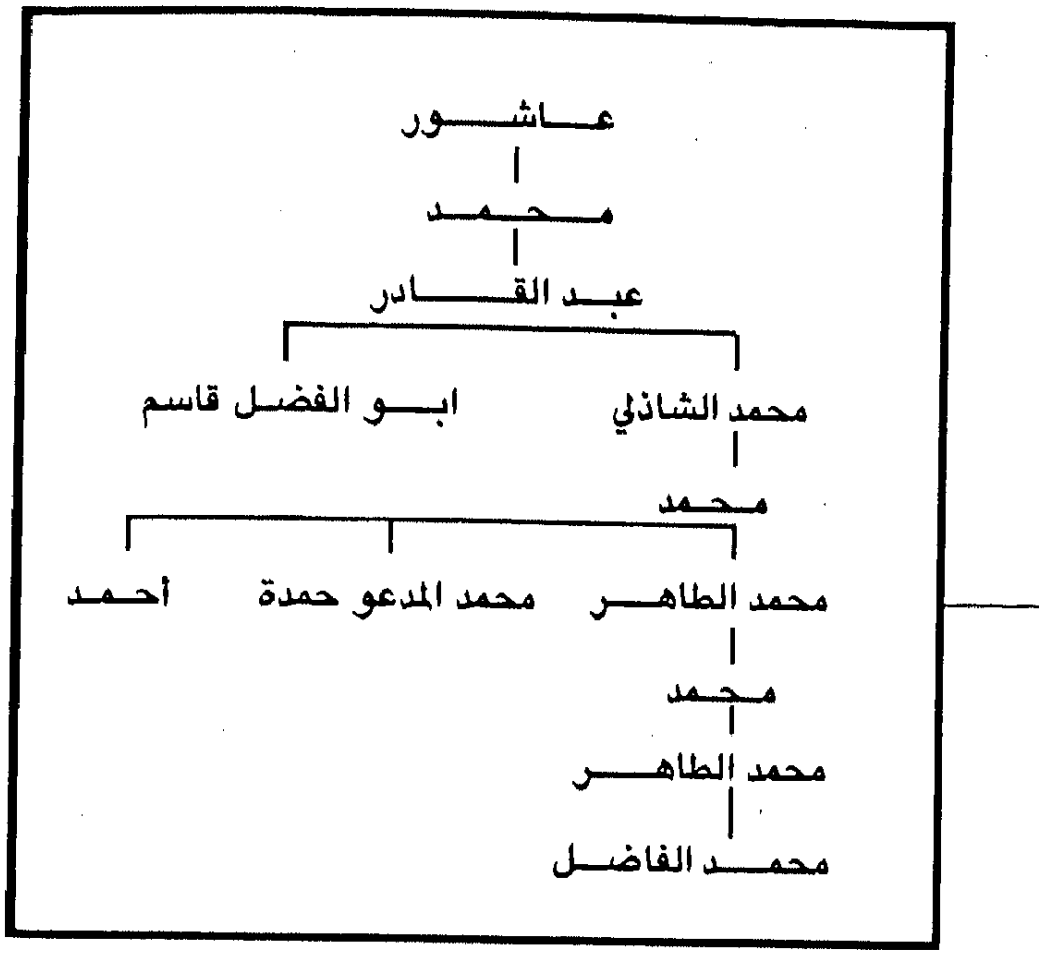

المرجع: محمد الطالبي، مرجع سابق، ص:48.

ملحق رقم (2): مجموعة كتب التي درس بها محمد الطاهر بن عاشور.

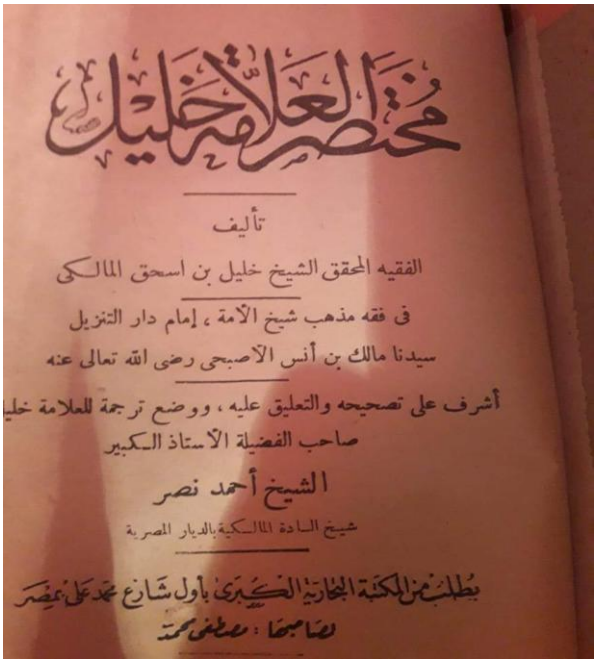

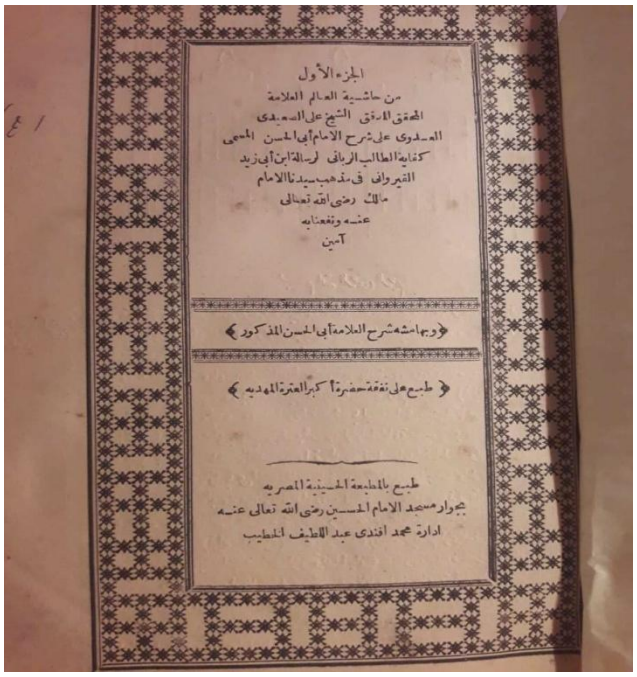

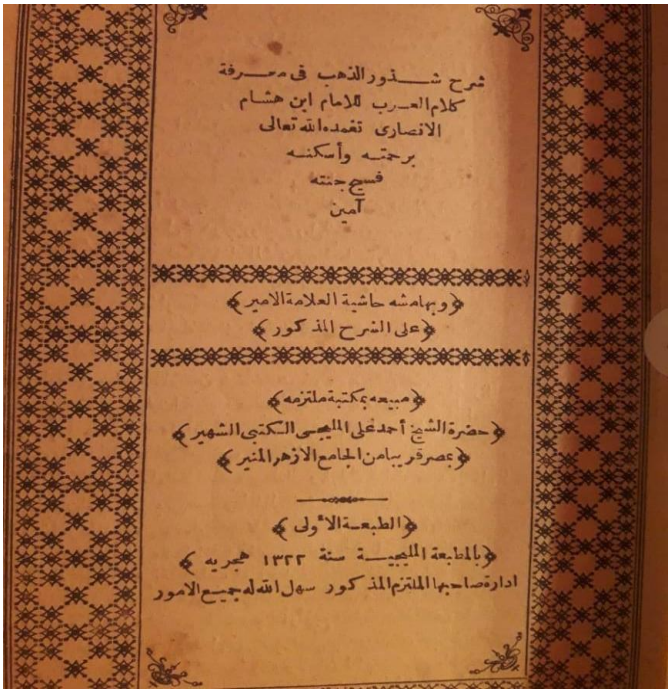

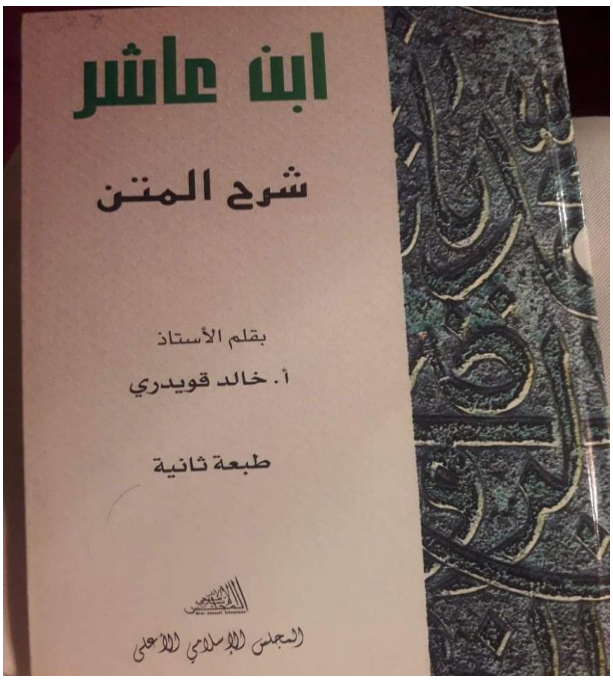

المرجع: سلمت من طرف الأستاذ "حمدان بن محمد سعدي" خريج جامعة الزيتونة.

ملحق رقم(3): رسالة بتوقيع محمد الطاهر بن عاشور إلى رئيس المجمع العلمي بدمشق سنة 1955م.

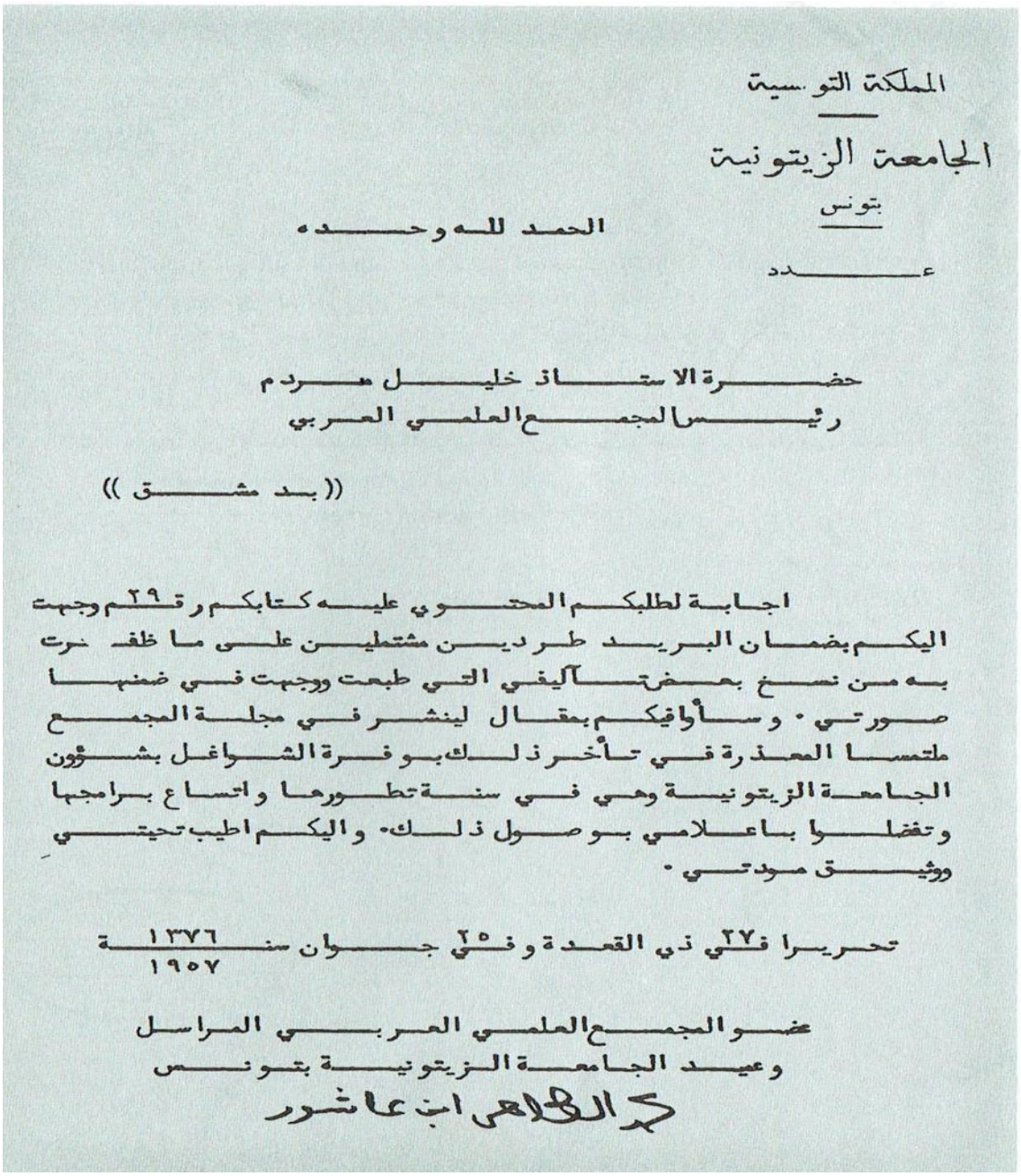

المملكة التونسية

الجامعة الزيتونية

بتونس

الحمد لله وحده

عـــــدد

حضـــرة الاستـــاذ خليـــل مـــردم
رئيـــس المجمـــع العلمـــي العـــربي

((بـــد مشـــق))

اجابة لطلبكم المحتوي عليه كتابكم رقم ٢٩ وجهت اليكم بضمان البريد طردين مشتملين على ما ظفرت به من نسخ بعض تآليفي التي طبعت ووجهت في ضمنها صورتي . وسأوافيكم بمقال لينشر في مجلة المجمع ملتمسا العذرة في تأخر ذلك بوفرة الشواغل بشؤون الجامعة الزيتونية وهي في سنة تطورها واتساع برامجها وتفضلوا باعلامي بوصول ذلك . واليكم اطيب تحيتي ووثيق مودتي .

تحريرا في ٢٧ ذي القعدة وفي ٢٥ جوان سنة ١٣٧٦ / ١٩٥٧

عضو المجمع العلمي العربي المراسل
وعميد الجامعة الزيتونية بتونس
محمد الطاهر ابن عاشور

المرجع: إياد خالد الطباع، مرجع سابق، ص: 182.

الملحق(4): واجهة كتاب تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور

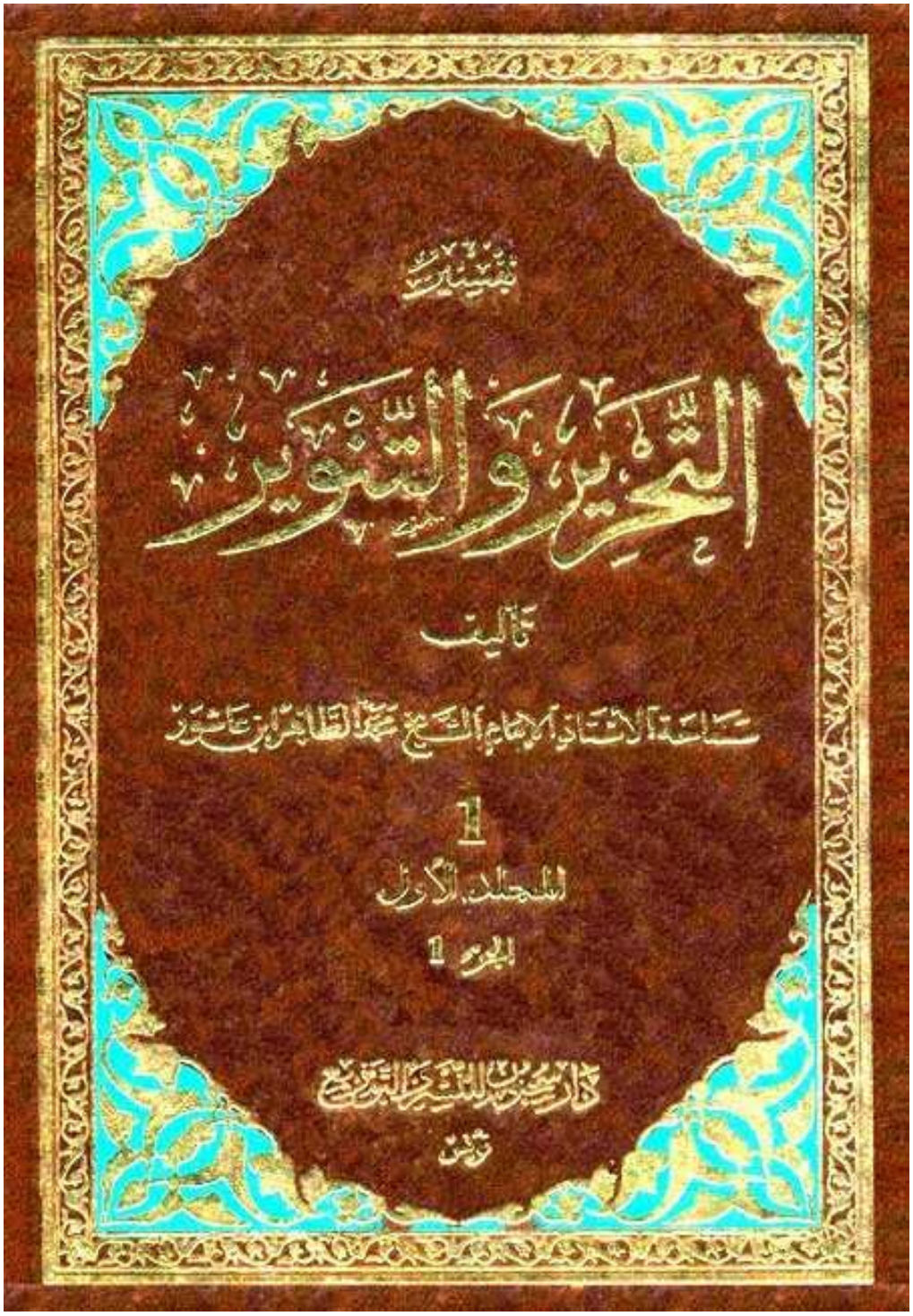

المصدر: محمد الطاهر بن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، مج 1، دار سحنون لنشر والتوزيع، تونس،ج 1، واجهة الكتاب.

الملحق رقم(5): واجهة كتاب مقاصد الشريعة الإسلامية لمؤلف محمد الطاهر بن عاشور.

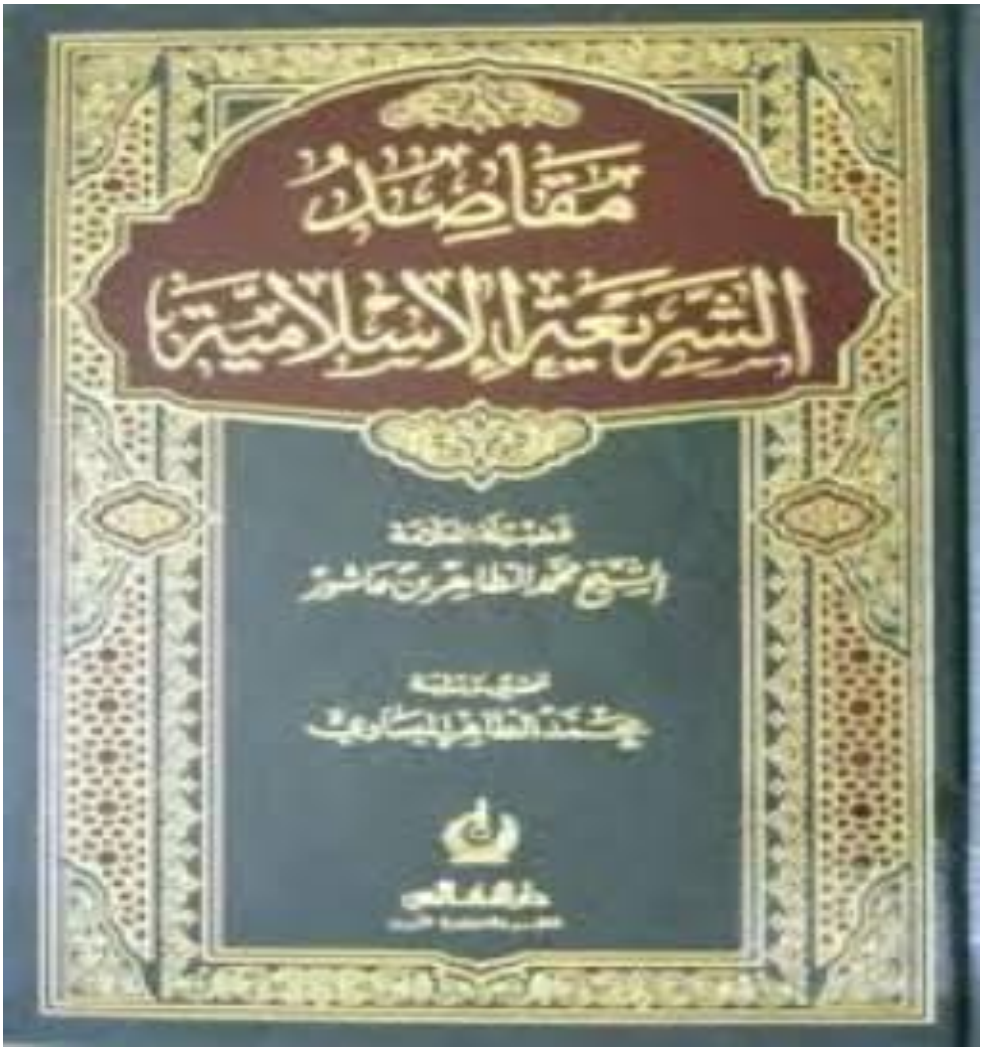

المرجع: محمد الطاهر بن عاشور، **مقاصد الشريعة الإسلامية**، مرجع سابق، واجهة الكتاب.

الملحق رقم (6): واجهة كتاب فتاوى الشيخ الإمام محمد الطاهر بن عاشور لمحمد بن إبراهيم بوزغيبة.

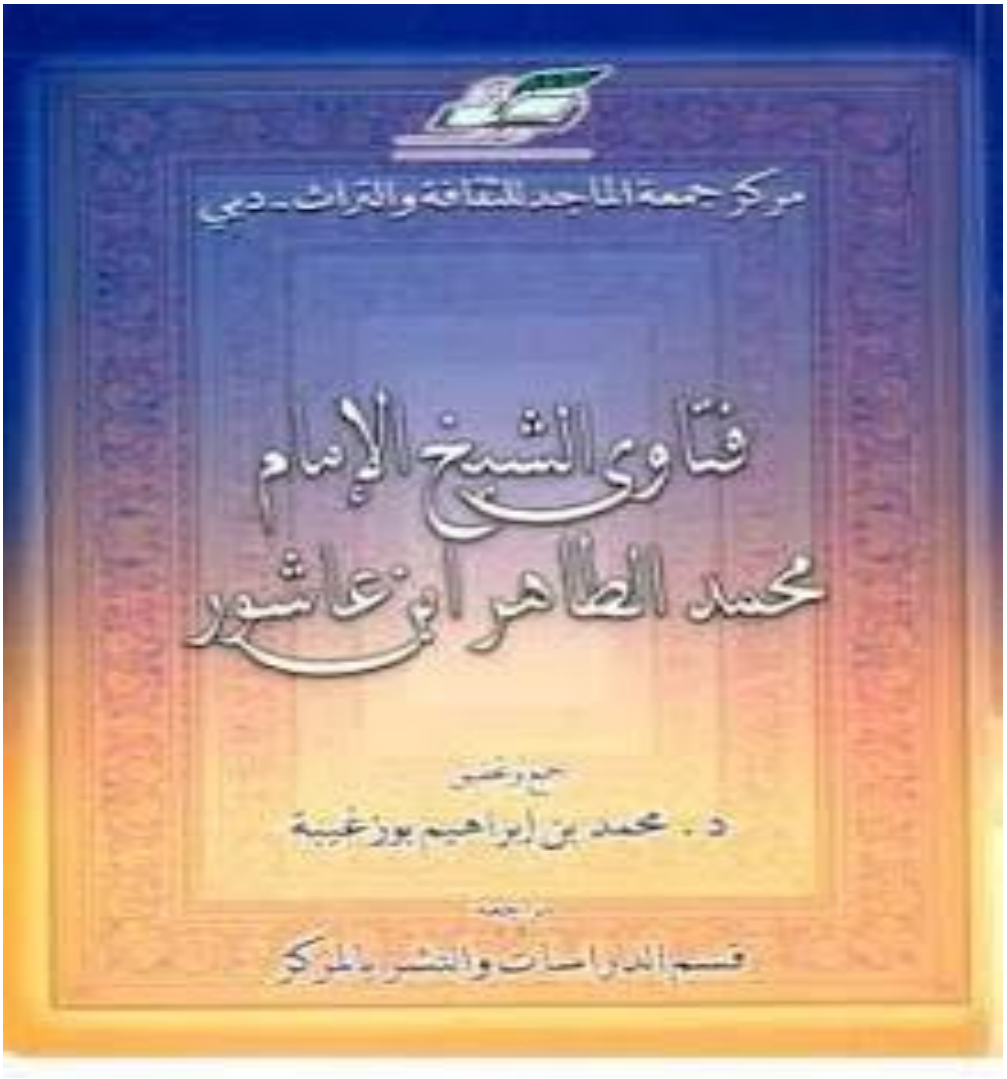

المرجع: محمد بن إبراهيم بوزغيبة، مرجع سابق، واجهة الكتاب.

الملحق رقم (7): صورة تمثل دفتر الشهادات لطلبة بجامع الزيتونة

دفتر شهادات طلبة جامع الزيتونة. الصفحة الأولى والصفحة الثانية

المرجع : محمد العزيز إبن عاشور، مرجع سابق، ص:**98**

ملاحق الصور

الملحق رقم (8) : صورة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور

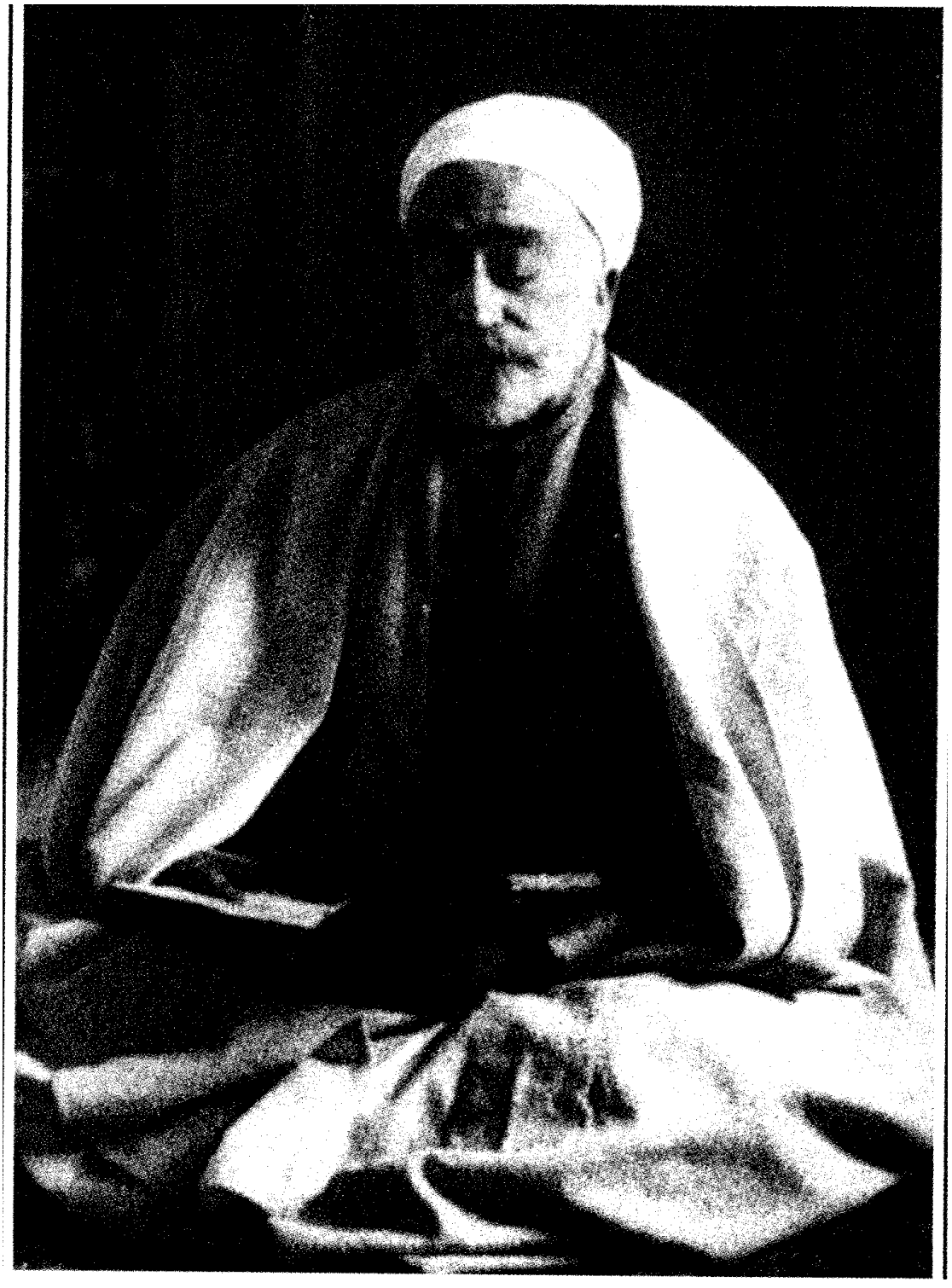

المرجع : محمد الحبيب بن خوجة ، مرجع سابق، ص:6.

الملحق رقم (9): صورة جامع الزيتونة

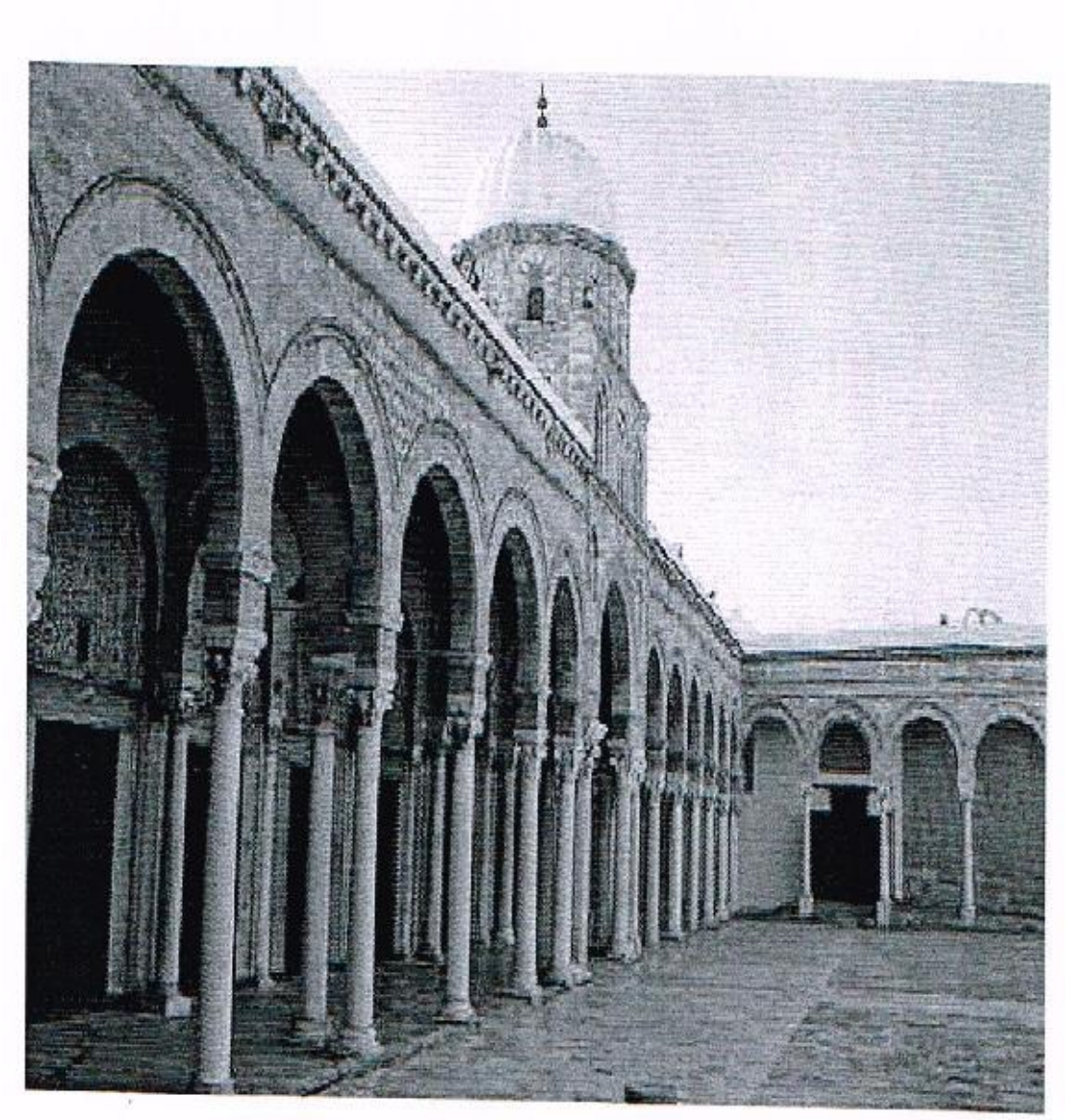

المرجع:عبد العزيز الفيلالي، **وثائق جديدة عن جوانب خفية في حياة الامام عبد الحميد بن باديس الدراسية**،(د.ط)،(د.ن)،(د.س)، ص:49.

قـــائمـــة البـيـبـلوغـرافـيا

ـ القرآن الكريم

1ـ المصادر:

ـ ابن خوجة (محمد)، **صفحات من تاريخ تونس**، تحقيق: حمادي الساحلي الجيلالي بن الحاج يحي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، 1997م.

ـ بن فارس (أحمد)، **مقاييس اللغة**، تحقيق عبد السلام هارون، لبنان، دار الجيل،ج4.

– بن عثمان السنوسي(أبي عبد الله محمد)، **مسامرات الضريف بحسن التعريف**، تحقيق: محمد الشاذلي النيفير، دون طبعة، دار الغرب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، 1999م، الجزء الأول.

ـ ابن عاشور (محمد الطاهر)، **أليس الصبح بقريب ـ دراسة تاريخية وآراء إصلاحية**، دار السلام للطباعة والنشر، دار سحنون لنشر والتوزيع، القاهرة،2006م.

ـ بن عاشور (محمدالطاهر)،**أصول النظام الإجتماعي**، الطبعة الثانية، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، (د.س).

2ـ المراجع:

ـ بوزغيبة (محمد بن إبراهيم)، **فتاوى الشيخ الإمام محمد الطاهر بن عاشور**، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، مراجعة قسم الدراسات والنشر، 1425هـ ـ2004 م.

ـ تامر(الحبيب)، **هذه تونس**، (د.ط)، مطبعة الرسالة، تونس، مكتبة المغرب العربي، (د.س).

ـ تيمور بك (أحمد)، **أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث**، دار الأفاق العربية، 2003م.

ـ التميمي(عبد الجليل)، **الجيش التونسي في عهد محمد الصادق باي(1859ـ1882م)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية**، جامعة صفاقس، 1995م.

ـ الثعالبي(عبد العزيز)، **تونس الشهيدة**، ترجمة: سامي الجندي، دار القدس، بيروت ـ لبنان، 1975م.

ـ الجابري(محمدالعابد)، **التعليم في المغرب العربي دراسة تحليلية نقدية سياسة التعليم في المغرب وتونس والجزائر**،(دون طبعة)، الدار البيضاء، 1889م.

ـ الخيضر(رابحة محمد)، لمى عبد العزيز مصطفى، **التجربة الإصلاحية في تونس في عهد محمد الصادق الباي 1881ـ1859م(دراسة طبيعتها وأبعادها)**، Rout Educational et social science journal،ع 6(2)،2019.

ـ ابن خوجة (محمد الحبيب)، **شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور**، الدار العربية للكتاب، تونس،2008م.

ـ زمرلي(الصادق)، **أعلام تونسيون**، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1997م.

ـ الشريف(محمدالهادي)، **تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الإستقلال**، تعريب: محمدالشاوش، محمدعجينة، دار سراس، تونس،1993م.

ـ صقر(نبيل أحمد)، **منهج الإمام الطاهر بن عاشور في تفسير التحرير**، الدار المصرية، للنشر والتوزيع، 1422هـ ـ2001م.

ـ الصديق محمد الصالح ، **أعلام المغرب العربي**، ط2، (د.د)،الجزائر،2008م،ج2.

ـ الطويلي(أحمد)، **رسالة المناعي إلى المشير الأول أحمد باي في الشكوى من أحمد بن أبي الضياف وسائر الأعداء**، دار التونسية للنشر، تونس، ديسمبر، 1977م.

ـ الطباع(إياد خالد)، **محمد الطاهر بن عاشور علامة الفقه وأصوله والتفسيروعلومه**، دار القلم، دمشق، 2005م.

ـ ابن عاشور (محمد العزيز)، **جامع الزيتونة المعلم ورجاله**، دار سراس للنشر، شارع عبد الرحمان عزام، تونس، (دون سنة).

ـ بن عاشور (محمدالطاهر)، **أصول الإنشاء والخطابة**، تحقيق:ياسر بن حامدالمطيري، مكتبة دار المناهج للنشر والتوزيع، الرياض، 1433م.

ـ بن عاشور(محمد الطاهر)، **شرح المقدمة الأدبية لشرح المرزوقي على ديوان الحماسة لأبي تمام**، تحقيق: ياسر بن حامد المطيري، مكتبة دار المناهج، الرياض،1431هـ.

ـ بن عاشور(محمد الطاهر)، **مقدمة ديوان بشار بن برد**، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م.

– ابن عاشور (محمد الطاهر)، مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق:محمد الطاهر الميساوي، الطبعة الثانية، دار النفائس، الأردن، 2001م.

ـ العلاوي(محمد)، **ديوان الشيخ إبراهيمي الرياحي(118ــ1266هـ/1767ـ 1850م)**، تحقيق: حمادي الساحلي، (د.ط)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (د.س).

ـ عبد الله الطاهر، **الحركة الوطنية التونسية (رؤية شعبية قومية جدي**دة **1830ــ1956م)**، منشورات دار المعارف، سوسة ـ تونس، (د.س).

ـ عبد السلام(أحمد)، **مواقف إصلاحية في تونس قبل الحماية**، الشركة التونسية للتوزيع، قرطاج، تونس،1987م.

ـ عبد الوهاب (حسن حسني)، **خلاصة تاريخ تونس**، الطبعة الثالثة، دار الكتاب العربية، تونس.

ـ الغابري (عبد الباسط)، **المؤسسة الزيتونية والإصلاح**، قسم الدراسات الدينية مؤمنون بلا حدود، مملكة المغاربية، الرباط، 2015م.

ـ الغالي(بلقاسم)، **شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره**، دار أبن حزم، بيروت، لبنان، 1996م.

الفيلالي (عبد العزيز)، **وثائق جديدة عن جوانب خفية في حياة الإمام عبد الحميد بن باديس.**

ـ المصري (الهاشمي الأزهري)، **جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب**، (دون طبعة)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1971م.

ـ المنصور(عبدالحفيظ)، **فهرس المخطوطات المكتبة الأحمدية بتونس**، دار الفتح، بيروت، 1969م.

ـ بن مسعود (محمد سعد بن أحمد)، **مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية**، دار الهجرة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1998م.

ـ مجاهد(زكي محمد)، **الأعلام الشرقية في المائة الرابعة في عشرة الهجرية**، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1994م.

ـ مجموعة من الباحثين، **تاريخ الأدب التونسي**، بحوث ودراسات أدب،(د.ط)، بيت الحكمة، تونس، 1993م.

ـ محجوبي(علي)، **إنتصاب الحماية الفرنسية بتونس**، ترجمة عمر بن ضو وآخرون، دار سراس للنشر،1968م.

ـ محفوظ (محمد)، **تراجم المؤلفين التونسيين**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م.

ـ محمد توفيق (فهمي)، **عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والنهضة في التاريخ الجزائر الحديث، 1359هـ/1889ـ1940م.**

3ـ الرسائل الجامعية والمذكرات:

ـ الباي (محمود)، **مقصد حفظ العقل عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور**، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العلوم الإسلامية، تخصص الفقه والدراسات القرآنية، قسم اللغة والحضارة الإسلامية، جامعة الجزائر، 2005 ـ 2006م.

ـ حسين (محمد)، **التنظير المقاصدي عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور في كتابه مقاصد الشريعة الإسلامية**، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه الدولة في العلوم الإسلامية، تخصص علوم أصول الفقه، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر، 2002 ـ 2003م.

ـ السندي (هادي بخش بن محمد بخش)، **منهج إبن عاشور في تفسير الآيات المتعلقة بأهل الكتاب في تفسيره "التحرير والتنوير"**، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير"أيرفل"، في تفسير وعلوم القرآن، قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية الدراسات الإسلامية (أصول الدين)، الجامعة الإسلامية العالمية، آباد ـ بكستان، 1429هـ ـ 2008م.

ـ القرني (محمد بن سعد بن عبد الله)، **الإمام محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في توجيه القراءات من خلال تفسيره التحرير والتنوير**، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، قسم الكتاب والسنة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، مملكة العربية السعودية، 1427هـ.

ـ صوان (عبد الرؤوف صوان)، **مقاصد العقائد عند الشيخ الطاهر بن عاشور**، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العلوم الإسلامية، تخصص عقيدة، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر، 1437هـ ـ 1438هـ/2016 ـ2018م.

ـ طاهر (براهيمي)، **أصول التفسير عند الشيخ محمد الطاهر بن عاشور**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية، تخصص لغة ودراسات قرآنية، قسم اللغة والحضارة الإسلامية، جامعة الجزائر، 2005ـ 2006م.

ـ عطاسي (رابح)، **أليات الإستنباط عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور من خلال تفسيره التحرير والتنوير**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تخصص الفقه والدراسات القرآنية، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر، 1432هـ ـ 2001م.

4 ـ المقالات والدوريات:

أـ مقالات:

ـ إبراهيم (عامر خليل)، (**المصلحة المرسلة عند إبن عاشور من خلال تفسيره**)، مجلة الأستاذ، كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية، جامعة بغداد، العدد201، 1433هـ.

ـ أبو حسان (جمال محمود أحمد)، الإمام محمد الطاهر بن عاشور (سيرة ومواقف) مجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مجلد 5، العدد2/أ، 1430هـ ـ 2009م.

ـ بن لحسن (بدران)، (**إبن عاشور وإعادة الإعتبار للقول الكلي في الفكر الإسلامي**)، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والغربية، مجلة علمية محكمة، دولة الإمارات العربية المتحدة، العدد 44، 1434هـ ـ 2012م.

ـ بوطيبي (محمد)، (**التعليم في جامع الزيتونة خلال النصف الأول من القرن العشرين (دراسة في منهج البرنامج**)، مجلة المغاربية للمخطوطات، العدد 5، جامعة يحي فارس، المدية، جوان 2017م.

ـ بوملاسة (رفيعة عطية)، **تعليم المرأة في مرحلة التحرر الوطني**، الفكر والسياسة في مجلة الحوار المتوسطي، مارس 2017م.

ـ الزهراني مشرف بن أحمد جمعان، التفسير المقاصدي" تأصيل وتطبيق في مجلة الدراسات الإسلامية، مجلد 28، الرياض، 2016ـ 2017م.

ـ الميساوي (محمد الطاهر)، (**الشيخ محمد الطاهر بن عاشور وقضايا الإصلاح والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر**)، رؤية معرفية ومنهجية التجديد، مجلد 18، عدد35، 1435هـ ـ 2014م.

محمد العزيز (الساحلي)، **المنعم سماحة الشيخ الدكتور محمد الحبيب ابن خوجة(1922هـ ـ 2012م)**، مجلة الفتاوى تونسية، العدد الأول، 2017م.

ـ الماجدي (محمد)، (**بيوت المتقين**)، قسم الشؤون الدينية، العدد 44، العتبة العلوية المقدسة لشهر شعبان المعظم، 1438هـ.

ب ـ دوريات:

ـ الطالبي (محمد)، **دائرة المعارف التونسية**، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، قرطاج، تونس، الكراس 4، 1994.

ـ بن محمود (محمد المختار) ، **جامع الزيتونة من أقدم الكليات العلمية في العالم وأكثرها إنتاجا، المجلة الزيتونية**، مجلد 2، العدد57، المطبعة التونسية، ديسمبر 1937م، الجزء2.

.ـــــــــــــــ. مجلد 3.

5ـ الملتقيات:

ـ ملكاوي (حسن فتحي)، (**الشيخ محمد الطاهر بن عاشور وقضايا الإصلاح والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر**"**رؤية معرفية ومنهجية**")، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، ولايات المتحدة الأمريكية، 1432هـ ـ2011م.

6ـ الموسوعات والقواميس:

ـ الزركلي (خير الدين)، **الأعلام** ـ قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين ـ الطبعة الخامسة، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، 1980م، الجزء السادس.

ـ العلاونة (أحمد)، **ذيل الأعلام**، قاموس المستعربين و المستشرقين، إدارة المنارة، جدة ـ السعودية، 1989م.

ـ موسوعة أعلام الفكر الإسلامي، **الموسوعة العربية**، مجلد الثامن عشر، القاهرة، 1425هـ ـ 2004م.

ـ نويهض (عادل) ، **معجم أعلام الجزائر** ، الطبعة الثانية، مؤسسة نويهض ثقافية، بيروت، لبنان، 1980م.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

شكر وعرفان		
مقدمة		4 -1
الفصل الاول:	**نبذة عن شخصية محمد الطاهر بن عاشور وآثاره**	20 -6
أولا	**عصره ونشأته**	15 -6
– أ–	عصره	8 -6
– ب–	نسبه ومولده	10 -8
– ج–	نشأته وتعليمه	13-10
– د–	وفاته وثناء العلماء عليه	15-13
ثانيا	**الوظائف التي تقلدها**	18-15
– أ–	الوظائف الإدارية	16-15
– ب–	الوظائف القضائية والعلمية	18-16
ثالثا	مؤلفاته	20-18
– أ–	في الأدب	19-18
– ب–	في الشريعة	20-19
الفصل الثاني:	**دور محمد الطاهر بن عاشور في الإصلاح الديني والاجتماعي**	35-22
أولا	**الإصلاح الديني**	29-22
– أ–	الطاهر بن عاشور والتفسير	25-22
– ب–	الطاهر بن عاشور ومقاصد الشريعة	27-26
–ج–	الطاهر بن عاشور والإفتاء	29-27
ثانيا	**الإصلاح الاجتماعي**	35-30
– أ–	المبادئ العامة لتأسيس مجتمع إسلامي	32-30
– ب–	الدعوة إلى إيجاد الجامعة الإسلامية	34-32
–ج–	تعليم المرأة	35-34

فهرس الموضوعات:

الفصل الثالث:	**محمد الطاهر بن عاشور ودوره في إصلاح التعليم بجامع الزيتونة**	57-37
أولا	**التعليم في جامع الزيتونة قبل مجيء الطاهر بن عاشور**	45-37
- أ-	التعريف بجامع الزيتونة	38-37
- ب-	أوضاع التعليم في جامع الزيتونة	40-38
-ج-	المحاولات الإصلاحية للتعليم	45-41
ثانيا	**اسهامات الطاهر بن عاشور في إصلاح التعليم**	52-45
- أ-	نظرة ابن عاشور في أسباب ضعف التعليم	49-48
- ب-	إصلاح التآليف والعلوم	52-50
- ج-	إصلاح مناهج الدراسة	57-52
ثالثا	**تقييم المشروع الإصلاحي لطاهر بن عاشور**	57-52
- أ-	الصعوبات التي واجهته	55-52
- ب-	نتائج الإصلاح	57-55
	خاتمة	60-59
	ملاحق	72-63
	قائمة البيبلوغرافيا	79-74
	فهرس الموضوعات	82-81